تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

اليقين سعادة ونجاة

د. عبد اللطيف احميد ص 5

أثر غياب فقه الواقع على العمل الدعوي

د. عبد الكبير حميدي ص 7

المحجة

بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

www.almahajjafes.net almahajjafes@gmail.com نصف شهرية جامعة

المديرالمسؤول : د. عبد العلي حجيج • 3 جمادى الثانية 1435هـ – 3 أبريل 2014م • العدد 417 • الثمن 3 دراهم

د. سعيد شبار ص 8-9

افتتاحية

الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ

الدعاء تعبير عن وجود علاقة خفية بين العبد وربّه عزّ وجلّ، إذ أن العبد حينما يتوجه إلى خالقه تعالى بالدعاء فهو يعبّر عن عبوديّته المطلقة له ويعلن الخضوع التام أمامه والتسليم الكامل لقدرته سبحانه وتعالى.

ولذلك فالدعاء سبيل النجاة، وسُلَّم الوصول إلى مرضاة الله، وهو مطلب العارفين، ومطية الصالحين، وملجأ المستضعفين، وسلاح المظلومين ومفزع الضعفاء المكسورين إذا انقطعت بهم الأسباب، وأغلقت في وجوههم الأبواب، به تُستجلب النعم، وتستمطر الرحمات والمنن، وتُستدفع البلايا والنقم.

وهو العبادة ذاتها، فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(غافر: 60).

وفي الحديث القدسي: «قال اللهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلا أُبَالِي».

«مَا دَعَوْتَنِي!!» عبارة تدل على أن المسلم ينبغي أن يكون في كل أحواله متوجها إلى خالقه عَزَّ وَجَلَّ، مُتَضرِّعًا إليه خاشعًا بين يديه، وليس من سبيل إلى ذلك إلا الدعاء الذي يعتبر من أعظم العبادات التي جاء بها الإسلام.

ولذلك شُرع للمسلم الدعاء في كل وقت وحين : في الشدائد والمحن، كما في الرخاء والمنح، في الصلوات وسائر العبادات كما في الأعمال الدنيوية وسائر الصناعات.

كما شُرع له أن يدعو لأخيه وخاصة بظهر الغيب، «مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»(أخرجه مسلم).

وتزداد قيمة الدعاء إذا صدر من الضعيف المحتاج، كما يظهر من قوله ﷺ: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»(أخرجه النسائي).

ومن ثَمَّ فإن الدعاء وسيلة يستخدمها المسلم في جلب الخير ودفع الضر، قال رسول الله ﷺ: «من فُتح له منكم باب الدعاء فُتحت له أبواب الرحمة، وما سُئل الله شيئاً يُعطى أحب إليه من أن يُسأل العافية، إن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء»(رواه الترمذي).

ومما يدل على أهمية الدعاء أن الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم اعتمدوه في أصعب المواقف، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». فما زال يهتف بربه مادّاً يديه مستقبلا القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك»(رواه مسلم).

فلنُصْلِح من شأننا وحالنا، ولنتوجه مخلصين إلى الله تعالى بالدعاء في كل وقت وحين، دعاء المضطرين الموقنين بالإجابة، فنحن في عصر كثرت فيه الأدواء وتكالبت علينا الأعداء، وتداعت علينا الأمم، وليس لنا إلا الدعاء.

لماذا نجح التعليم في بلادنا بعد الاستقلال؟

د. عبد الرحيم الرحموني ص 16

التعصب العسكري

د. أحمد لشهب ص 14

التكنولوجيا الرقمية وأثرها في تطور البحث العلمي

د. مصطفى الزكاف ص 10

مفهوم الرشد في القرآن الكريم

د. كلثومة دخوش

ورد مصطلح الرشد في القرآن الكريم تسع عشرة مرة بالصيغ الموالية : الرُّشْد- رَشَدا-الرّشاد- يرشُدون- رشيد- مُرشد- الراشدون.

والراء والشين والدال (رشد) في اللغة أصلٌ واحدٌ يدلُّ على استقامةِ الطريق[1].

و «الرَشادُ: خلاف الغَيّ، وقد رَشَدَ يَرْشُدُ رُشْداً، ورَشِدَ بالكسر يَرْشَدُ رَشَداً لُغَةٌ فيه»[2].

ولقد ورد الرشد في مقابل الغي في موضعين من موارد المصطلح هما قوله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة : 255) وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ (الأعراف: 146).

وبنفس الاستعمال ورد في قوله ﷺ في إحدى خطبه: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى حَتَّى يَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ»[3].

والغَيُّ: الضلال والخيبة أيضاً. وقد غَوي بالفتح يَغْوي غَيًّا وغَوايَةً، فهو غاوٍ وغوٍ، وأغْواهُ غيره فهو غَوِيٌّ على فَعيلٍ»[4].

كما جاء الرشد مقابلا للشر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن :10)

وللضر في قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (الجن : 21).

واعتبر القرآن الكريم الإيمان طريقا للرشد في آيات قرآنية منها قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة : 185).

ومن خصائص مصطلح الرشد في القرآن الكريم ارتباطه بالقصص القرآني، حيث ورد في معظم موارده في سياق ذكر أخبار مؤمني الأمم السابقة كمؤمن آل فرعون وأصحاب الكهف، ثم ورد في سياق ذكر الجن الذين آمنوا بالقرآن، ودعوتهم قومهم واصفين القرآن الكريم بقولهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (الجن : 1-2).

كما ورد أيضا في سياق الحديث عن قصص كل من لوط وشعيب وموسى عليهم السلام مع أقوامهم.

ولقد ورد الرشد بوصفه أمرا محسوسا يمكن لمسه في تصرفات الراشد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (النساء : 5).

قال ابن عطية في معرض تفسيره للآية: «قال الحسن وقتادة: الرشد في العقل والدين، وقال ابن عباس: بل في العقل وتدبير المال لا غير، وهو قول ابن القاسم في مذهبنا، والرواية الأخرى : أنه في العقل والدين، مروية عن مالك[5]. وقال الطبري بعد ذكر أقوال المفسرين في معنى الرشد في هذه الآية: «وأولى هذه الأقوال عندي بمعنى «الرشد» في هذا الموضع، العقل وإصلاح المال لإجماع الجميع على أنه إذا كان كذلك، لم يكن ممن يستحق الحجرَ عليه في ماله، وحَوْزَ ما في يده عنه، وإن كان فاجرًا في دينه»[6].

من هنا يكون للرشد معنى الصلاح في أمر الدين، وهو الأكثر، ومعنى الصلاح في أمر الدنيا أيضا، ومنه وصف الأمر بالرشد كما في قوله عز وجل: ﴿وما أمرُ فرعَوْن برشيد﴾ (هود : 96)، وقال بعضهم : الرّشد أي بفتحتين... أخص من الرُّشْد؛ لأن الرشد بالضم يقال في الأمور الدنيوية والأخروية والرشد يقال في الأمور الأخروية لا غير»[7].

والرشيد والراشد هو المستقيم على طريق الحق، قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات : 7).

---

1. ابن فارس، مقاييس اللغة، رشد.
2. الجوهري، الصحاح، رشد.
3. مسند الإمام الشافعي، كتاب إيجاب الجمعة، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، البيهقي، معرفة السنن والآثار.
4. الجوهري.
5. المحرر الوجيز.
6. جامع البيان في تفسير القرآن.
7. نقل هذا القول الآلوسي في تفسيره روح المعاني.

مواقف وأحوال

أنس بن مالك.. وضياع صلاة الصبح

● الحدث :
فتح المسلمين مدينة تستر
● المكان :
بلاد فارس
● الزمان:
في خلافة أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
● التكلفة :
استشهاد عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم
● الوقائع :
حاصرتها ثلاثة جيوش: جيش النعمان بن مقرن من الكوفة، وجيش سهيل بن عدي من البصرة، وجيش أبي موسى الأشعري،
دام الحصار أشهرا طويلة
كثر القتل من الفريقين،
المسلمون في آخر زحف يقولون للبراء بن مالك - وكان مجاب الدعوة-: يا براء أقسم على ربك ليهزمنهم لنا.
فقال: اللهم اهزمهم لنا، واستشهدني.
كان المسلمون يدخلون تستر من مدخل الماء إليها، أي إنهم يدخلون مع الماء كالبط في الليل.
أنام المجاهدون البوابين وفتحوا الأبواب، وكبر المسلمون فدخلوا البلد، وذلك في وقت الفجر إلى أن تعالى النهار.
● النتائج :
فتح مدينة تستر، بعد حصار طويل، ومقتلة عظيمة.
● الإشكال :
في يوم الفتح العظيم، وفي غمرة القتال، لم يصلِّ المسلمون الصبح يومئذ إلا بعد طلوع الشمس.
● العبرة :
في صحيح البخاري: قال أنس بن مالك: «حضرت عند مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر، واشتد اشتعال القتال، فلم يقدروا على الصلاة، فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار، فصليناها ونحن مع أبي موسى ففتح لنا، وقال أنس بن مالك: فما أحب أن لي بتلك الصلاة حمر النعم وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها»

هذه النازلة تسائلني وتسائلك: كيف تنظر إلى الصلاة في حياتك؟ هل حفظها وإقامتها تمثل قضية القضايا، وأولى الأولويات بالنسبة إليك؟ أم هناك قضايا هي أهم بالنسبة لك؟

ماذا لو تعارض أمر الصلاة عندك بأمر العمل أو الدراسة أو أي شغل آخر: كيف تتصرف؟

لا تنس أن أنس بن مالك ومن معه رضي الله عنهم شغلوا عن الصلاة بأمر عظيم هو الجهاد في سبيل الله جل وعلا، ولا تنس أنه حقق إنجازا عظيما هو فتح تستر، ولا تنس أنه ومن معه لم يقدروا على الصلاة بسبب اشتعال القتال.

ومع ذلك يتحسر على ضياع صلاة الصبح منه، مرة واحدة في حياته، بسبب الجهاد في سبيل الله تعالى، ويقول: فما أحب أن لي بتلك الصلاة حمر النعم، وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها».

د. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraoui@yahoo.fr

هل سيستمر الكون إلى الأبد؟

أسئلة كثيرة يطرحها علماء الغرب اليوم، هل الكون أزلي؟ وإلى أين يسير بنا؟ هل سيتوسع إلى الأبد؟ ولكنهم يحتارون في الأجوبة لأنهم لا يملكون الأساس الصحيح إلا ما يشاهدونه بأعينهم ويجربونه بأجهزتهم.

إن جميع الأشياء التي يراها الإنسان لها بداية ونهاية، فلماذا يكون الكون أزلياً؟ ولماذا يخالف هذه الطبيعة؟ إنهم يتساءلون هل يمكن أن يأتي الكون من العدم، ثم يستمر في التوسع إلى ما لا نهاية؟ إن الذين يدعون أن الكون سيستمر إلى ما لا نهاية يخالفون أبسط القواعد التي وضعوها، فقد وضعوا قانوناً هو قانون مصونية الطاقة والمادة، وهذا يعني أن المادة لا تُخلق ولا تفنى، ولو استمر الكون في التوسع إلى الأبد، إذن من أين سيأتي بالطاقة اللانهائية لتزوده بالقدرة على التوسع؟

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: 104)

مسؤولية الآباء في حماية فطرة الأبناء

د. عمر آجة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول : قال رسول الله ﷺ : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جَمْعَاء هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه: واقرءوا إن شئتم: «فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله» (رواه البخاري ومسلم).

أهمية التربية الإسلامية

التربية الإسلامية هي الوسيلة للسعادة في الدارين الأولى والآخرة، بها تتكون شخصية المسلم المؤمن بربه، والمطيع لأوامره والمتجنب لنواهيه، المتمسك بدينه، الذي يؤدي رسالته في الحياة بأمانة، ويعمل لآخرته متّبعا الكتاب والسنة، محاربا كل بدعة، مطيعا لربه العليم: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (الحشر : 7)، ومقتديا بسنة نبيه ﷺ : ﴿لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة﴾ (الأحزاب : 21).

وإذا كان مفهوم التربية هو: التنمية للقوى العقلية والخلقية والجسدية، والله عز وجل قد ربى نبيه عليه السلام ليكون خير قدوة للبشرية، وقد منحه سبحانه هذه الشهادة: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾(القلم: 4)، فقد وجب على البشرية جمعاء الاقتداء به، والعمل بما جاء به.

أصحاب الكهف والتربية

إذا كان أصحاب الكهف مثلا للشباب المستبصر الذي لم تطمس ظلمات الكفر في بيئته شعاع فطرته، ولم تشب أوضاع الضلال صفاء استقامته، فإن المجتمع المسلم لا يترك شبابه لهذه المعاناة، ولا يعرضهم لهول هذه المحن، فهو مجتمع يقوم على الإيمان بالله وتحقيق شريعته، ومن هنا فهو حريص على أن يحمي ناشئته من الفتنة، ويقيهم سبل الضلال والغواية، فلا يضع توجيههم في يد قلوب مريضة، ولا يترك زمامهم بأيد ملوثة، بل يوفر لكل ناشيء فيه جوًا صالحا تزكو فيه الفطرة، وتتفتح أزهارها؛ فأئمة الضلال حين يتولون التوجيه والتنشئة يصبغون الأجيال بصبغتهم، ويوجهونهم إلى طريقتهم، فيضل المجتمع ويشقى، مصداقا لقوله ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه». فإذا شبّ الفتيان على الإيمان السليم، ورسخت في نفوسهم العادات الحميدة استحقوا أن يوصفوا بما وصف به أهل الكهف من قبلهم: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾(الكهف :13).إن أهل الكهف قد راعهم ما تردى فيه قومهم من الشرك بالله، فاعتزلوا بهتانهم، ونجوا بأنفسهم حتى لا يصيبهم ذلك البلاء ولا تتسرب إليهم تلك الأدواء، إنهم لجأوا إلى الكهف ينشدون من الله الرحمة، وأن يثبت قلوبهم على الإيمان به، ويهديهم بنور الحقيقة، ويفتح لهم أبواب المعرفة، ليبنوا بسواعدهم الفتيّة، وعزائمهم القوية، مجتمعا جديدا خالصا من أدران الوثنية والشرك برب البرية.

التربية بين الأم والأب

لا شك أن واجب التربية يتقاسمه الوالدان بصفتهما الأبوية، فإذا شعرا بمسؤوليتهما تجاه الله تعالى والمجتمع، عرفا أن التربية أمانة في عنقهما، وأن جزاءهما تضعيف الأجر: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة﴾(البقرة : 245). والآباء هم القدوة للأبناء، إذ يقلدونهم في سلوكهم الحسن منه أو الرديء، فليكن الأب لابنه مصباح هداية، وليحذر أن يكون مفتاح غواية، وللموعظة الحسنة أثرها، وخير ما يلقن للأبناء وصايا الرحمن على لسان لقمان لابنه؛ فهي تجمع بين الإيمان والتوحيد والدعوة إلى الخلق القويم: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنيّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾(لقمان : 13). ﴿يا بنيّ أقم الصلاة وامُرْ بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبرْ على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور، ولا تُصَعرْ خدك للناس ولا تَمْشِ في الارض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ (لقمان : 17- 18). وللنبي ﷺ وصايا عديدة، من اقتدى بها حصل على مزايا جليلة، يقول عليه الصلاة والسلام في وصية له : «اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم» (رواه أحمد).إن هذه الوصية الجليلة من جوامع الكلم، تجمع آداب السلوك الاجتماعي اللازمة لسعادة البشرية، فالله تعالى خلق الإنسان وأنشأ له الإرادة، فعليه الاختيار، إما أن يفعل الخير فيصير من الأبرار، وإما أن يفعل الشر فيصبح من الأشرار، والجزاء معروف، فلهذا الجنة ولذاك النار..ولذا ينبغي أن يحرص الآباء على تعليم أبنائهم تعاليم الدين، ويبدأوا بحفظ القرآن الكريم، لتتحد البواعث الدينية في نفوسهم مع البواعث الشخصية منذ نعومة أظفارهم، وهذه هي الوسيلة السليمة لتنشئتهم التنشئة القويمة التي تؤتي ثمارها الطيبة بإذن الله عز وجل. وأسلوب القرآن الكريم حكيم في الترغيب في الدين والترهيب من الخروج على مبادىء الإسلام والمسلمين، لعلمه سبحانه بالطبيعة الإنسانية التي فيها التفكير والتدبير، وفيها المحبة والكراهية، وسلوك الفرد يتحرك بدافع من الرأي والنظر، ويتحرك بقوة الخوف والغضب، وقد وصف الله تعالى الجنة في محكم آياته ليكون الناس على بصيرة بما يلقون من ثواب هو النعيم الذي إليه يشتاقون، وفي نفس الوقت صور الجحيم وما فيها من عذاب أليم، ليكون المجرمون على علم بما ينتظرهم يوم الدين.. هكذا يرسم الدين الإسلامي للناس قواعد التربية السليمة التي ينبغي أن يسيروا عليها، ولن يضل الناس طالما تمسكوا بالقرآن والسنة النبوية على الرغم مما يسود العالم من فساد الرأي يُدعى بالحرية، ووقاحةِ فكرٍ تُنعت بالجرأة، وفلسفة مادية ملحدة تحاول تفسير كل شيء على هواها، إنها مضللة مفسدة.. إن الله سبحانه وتعالى قد خلقنا من ظهور آبائنا وأشهدنا على أنفسنا شهادة شهدناها بأن الله عز وجل هو ربنا وهذه الشهادة باقية فينا إلى أن نلقاه سبحانه يوم القيامة، وهذه الشهادة لا تنفك عنا مهما حصل لنا منذ ذلك الحين وحتى نلقاه سبحانه سواء آمنا أو كفرنا وسواء صلحنا أم فسدنا وسواء كنا من أهل الفترة أم من أصحاب الرسل . والدليل على ذلك قول الله تعالى على سبيل التعليل والتسبيب: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـذَا غَافِلِينَ﴾(الأعراف 172)، فالشهادة التي شهدناها فطرة فطرنا الله عليها وجعلها في خلقتنا لأمر أراده هو، فلننظر في الآية ولنمعن النظر لعلنا نهتدي إلى ذلك السبب الذي من أجله أشهدنا على ربوبيته يقول «ابن الأثير» كما ورد في لسان العرب في قول رسول الله ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة ....» الفطر الابتداء والاختراع، والفطرة منه الحالة، كالجِلْسَة والرِكْبَة، والمعنى أنه يولد على نوع من الجِبلَّة والطبع المُتَهَيِّئ لقبول الدين.....) قال تعالى : ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا﴾(الأعراف :172)، والغاية من ذلك، قال تعالى : ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـذَا غَافِلِينَ﴾ وهذا يقتضي أن هذا الأمر الذي استودعه الله الإنسان لا يمكن بحال من الأحوال أن يغفل عنه أو ينساه فلم يبق إلا أن يكون مجبولا عليه وهو شيء من تكوينه الخلقي فالأمور العقلية يمكن أن يغفل عنها الإنسان أما الجبلة والفطرة فليست كذلك فهي جزء من الإنسان وليست طارئا عليه مثل العقل. والغاية من هذا الأمر الفطري هي أن يكون الإنسان مستعدا مهيأ لقبول الدين الذي سوف يبعثه الله على يد رسله ملة إبراهيم وعيسى وموسى عليهم السلام، وهي تفرد الله عز وجل بالربوبية والألوهية والعبادة، وهذا هو عينه الذي فطرنا الله تعالى عليه وهيأنا له، فسرعان ما تتجاوب النفوس مع مثل هذا الذي أقنع العقل فأفحمه وهز الفؤاد فخلعه استجابة عقلية بالحجة والمنطق واستجابة فطرية من غريزة التدين والشعور بالنقص والعجز والاحتياج وعندها يقتنع العقل وتؤيده الفطرة ويطمئن القلب. وإذا ما عرض على الإنسان الشرك بالله سواء كان من أب أو من أي إنسان كان -فإنه علاوة على أن العقل يرفضه ويأباه لأن الشاهد في الكون والإنسان والحياة كلها يشهد أن لا اله إلا الله- فإن فطرته تأباه كذلك، فإذا ما انحرف عنه لسبب من الأسباب فإن فطرته تبقى تنازعه فيه وترفضه حتى يلقى الله بلا حجة عقلية وسيجد حينها نفسه شاهدة عليه لا معه، قائلة يا رب إنني نازعته شركه ولم أقبله وكنت أشعره بهذا الذي هو من تكوينه، ففطرة الإنسان فطرة سوية سليمة وهي في ذاتها منّة من الله تعالى على المؤمنين فهي تهيئة من الله للإيمان وليس للكفر، بل هي لا تقبل إلا الإيمان بالله الواحد وترفض الكفر والشرك، فهذا فضل من الله ومنّة على الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

> **الآباء هم القدوة للأبناء، إذ يقلدونهم في سلوكهم الحسن منه أو الرديء، فليكن الأب لابنه مصباح هداية، وليحذر أن يكون مفتاح غواية**

أهمية تلقين الإيمان الصحيح

لا شك أن تأسيس الإيمان السليم منذ الصغر أمر بالغ الأهمية في منهج التربية الإسلامية، و أمر بالغ السهولة كذلك، فالله سبحانه وتعالى قد تفضل على بني آدم بأمرين هما أصل السعادة :

■ أحدهما : أن كل مولود يولد على الفطرة كما قال ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه».

■ الثاني: أن الله تعالى قد هدى الناس هداية عامة، بما جعل فيهم بالفطرة من المعرفة وأسباب العلم، وبما أنزل إليهم من الكتب وأرسل إليهم من الرسل. ولذلك اهتم الإسلام بتربية الأطفال على الإيمان الصحيح منذ الصغر، ومن هنا جاء استحباب التأذين في الأذن اليمنى، والإقامة في أذن الطفل اليسرى. ولقد اهتم رسول الله ﷺ بالأطفال، فغرس في نفوسهم أسس الإيمان، فهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنه يقول له رسول الله ﷺ : «يا غلام إني أُعلمك كلمات : «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام و جَفّت الصحف» (رواه الترمذي وقال حديث حسن).

إن الإجابة السليمة الواعية عن تساؤلات الأطفال الدينية بما يتناسب مع سنهم ومستوى إدراكهم وفهمهم أمر ضروري مع اعتدال في التربية الدينية لهم وعدم تحميلهم ما لا طاقة لهم به وكذا الاقتداء بأخلاق سيد الخلق ﷺ في سلوكه وتعامله مع الأطفال.

المراجع المعتمدة :أبو الأعلى المودودي (المصطلحات الأربعة في القرآن ص26 فما بعدها) منهج التربية الإسلامية محمد قطب 164/2 الفتاوى لابن تيمية 294-283/14

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة
المدير المؤسس ذ. المفضل فلواتي
المدير المسؤول د. عبد العلي حجيج
مسؤول الإخراج رشيد صدقي
الموقع الاكتروني : www.almahajjafes.net
البريد الاكتروني : almahajjafes@gmail.com
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب
الهاتف : 0535931113
الناسوخ : 0535944454
الإيداع القانوني : 1994-61
رقم الصحافة : 91/11
الترقيم الدولي : 3627-1113
الطبع : إكوبرانت
التوزيع : سابريس

منظومة القيم في القرآن والبناء التكاملي لوظائف الأسرة

د. سعيد شبار

توطئة :

تبقى القوة الإجرائية والتفاعلية لأي مفهوم من قوة المرجعية التي يستمد منها المفهوم، ومن مدى تماسك ونسقية مكونات هذه المرجعية من حيث تكامل وظائفها وتحقق مقاصدها.. في جلب النفع والسعادة والمصلحة للإنسان ودفع الضرر والشقاء والمفسدة عنه..

وليس ثمة مفهوم يستند إلى جهد بشري موسوم بالنسبية والقصور، بقادر على النهوض بكل تلك المهام لإسعاد الإنسان في حياته الدنيا أو العاجلة ، بله إسعاده في حياته الآخرة أو الآجلة. لذلك تبقى المرجعية الدينية –في ثقافتنا الإسلامية– باعتبارها وحيا مطلقا مستوعبا للزمان ومؤطرا للإنسان أولى من غيرها في هذا السياق وفي كل سياق.

من هنا تأتي أهمية هذه الندوة في اعتقادي، أي في إحالتها لمفهوم الأسرة على القران وليس التاريخ ، على المطلق الكلي وليس على النسبي الجزئي . ولو أن كل مفاهيمنا المكونة لثقافتنا وعلومنا ومعارفنا وآدابنا أعيد بناؤها على هذا الأصل لكان حالنا غير هذا الحال قطعا.

إن من سنن الله تعالى في خلقه والتي فطر عليها مخلوقاته: الأداء والإنجاز الجماعي للكائنات، حية أو جامدة عاقلة أو غير عاقلة، يتضح ذلك من أبسط تأمل في آيات الأنفس والآفاق. وهذا الأداء والإنجاز الجماعي هو ما يمكن تسميته بالعمل «المنظومي» الذي تتداخل وتتكامل فيه الوظائف العامة والخاصة.

وهذا الأمر، كما يحدث في البنى والأنساق الاجتماعية يحدث كذلك في البنى والأنساق الفكرية والثقافية، والعلمية والمعرفية. وهو الذي نسعى إلى بيان جزء منه في مجال القيم القرآنية عموما وتلك المتعلقة بالأسرة خصوصا.

1 – منطق الاشتغال المنظومي للقيم في القرآن :

بناء على ما تقدم فإن القيم والمفاهيم في القرآن عموما تبقى منظومة تشتغل وفق منطق ونظام خاص هو من سنن الله الدينية الشرعية المعادلة أو المكافئة لسننه الكونية القدرية. بمعنى أكثر وضوحا أن آيات الله تعالى في كتابه المسطور معادلة من حيث نظامها واتساقها ، موقعا ودلالات لآيات الله الكونية القدرية في مواقعها في الفضاء الكوني أو الكتاب المنظور. كما قال الله تعالى ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم، إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون﴾(الواقعة : 75 – 76).

فنجد لكل مفهوم قيمة في القرآن الكريم حركة أو وظيفة ذاتية لا يقوم بها إلا هو، وحركة أو وظيفة تشاركية أو تفاعلية يقوم بها مع غيره في سياق تكاملي للوظائف. والحركتان معان الذاتية والتفاعلية تتمان في نفس الوقت بشكل نسقي متواز. وهو عمل أشبه ما يكون بأعضاء جسد الإنسان، أو قطع غيار محرك ما. فكل عضو في الجسد يقوم بوظيفة خاصة لا يمكن أن يقوم بها غيره. وتأمل هنا عمل القلب أو الكبد أو الرئة أو غيرها. ثم وهو يقوم بهذه الوظيفة لا يستطيع أن يقوم بها مفردا مستقلا، فلا بد له من شبكة علاقات تفاعلية مع الأعضاء الأخرى إمدادا واستمدادا. وتأمل قطعة محرك، أيا كان حجما ومجالا، فلا قطعة تنوب عن غيرها ولا هي بقادرة على الاشتغال دون دعم وسند غيرها. بل تلف قطعة واحدة ضمن عشرات أو مئات القطع يعطل عمل المحرك أو يضعفه إضعافا، بحسب دورها المحوري الأساسي أو الثانوي التكميلي.

إن اشتغال القيم والمفاهيم عموما في القرآن الكريم هو أدق وأشمل من الصور التقريبية التي أشرنا إليها حتى قيل إنه كلمة، وبنية ونسق ونظام..الخ. فأصل التوحيد أو الايمان مثلا أصل مهيمن ، ولنقل بتعبير بعض الكتاب : قيمة عليا حاكمة. المفروض أن يكون له حضور في سائر المفاهيم الأخرى يزودها بالمعنى ويحدد وجهتها وقبلتها ويسدد كثيرا من آليات اشتغالها. لكن للأسف ضمر هذا الأصل وانحصرت معانيه ودلالاته في التداول التاريخي حتى لم يبق لها حضور في مجالات العلم والمعرفة والمجتمع، فلحقها من الآفات ما لحقها. ومثل التوحيد والاستخلاف والتكريم والعدل والتزكية والحرية والاخلاص والاحسان .. وغيرها، من حيث استقلالها بمعنى وتكاملها من خلاله مع سائر المعاني الأخرى.

ولهذا كان النظر الجزئي المفرد لبعض المفاهيم بمعزل عن شبكة علاقاتها وسياقاتها من أخطر الآفات التي أصابت كثيرا من الدراسات وهي تحاول المنظور الاسلامي لقضية ما ، كقضية الأسرة أو المرأة أو الارث أو المساواة .. وكثير من القضايا الاجتماعية والسياسية وغيرها. وهذا المنهج هو الذي عابه القران الكريم نفسه على ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (الحجر : 91)، أي أجزاء وقطعا أو أعضاء وفرقا، وإن كان السياق واردا في الذين يومنون ببعضه ويكفرون ببعضه، فإنه منهجيا عام على كل عمل انتقائي يخل بشرط الوحدة البنائية والنسقية التكاملية بين سائر مكوناته.

2 – الأسرة والتكامل الوظيفي للقيم:

إن الأسرة وإن لم ترد لفظا في القرآن الكريم لكنها المرادة عموما بألفاظ أخرى كآل والأهل وأحيانا العشيرة إذا اتسعت الدائرة قليلا.. وقبل النظر إليها وحدة مستقلة لا بد من النظر إلى موقعها ضمن القيم الكلية المؤطرة ، فهناك شبكة قيمية مؤطرة ولاحمة بين هذه الدوائر تحفظها من التفكك والنزاع، وتقوم السلوك والأفعال والأقوال، وتحفظ العدل والأخوة والمساواة... وما إلى ذلك.

وبما أن الأسرة في مبتدإ الأمر ومنتهاه : رجال ونساء وأبناء وعلاقات، فمفهوم الاستخلاف يتوجه على هؤلاء جميعا، ومفهوم التكريم يشملهم جميعا، وخطاب الإيمان والتكليف يعمهم جميعا كذلك، والعدل والإنصاف والمساواة والتقوى والورع ... متوجهة عليهم جميعا.

هذا فضلا عن قيم أخرى ذات طبيعة تكافلية تضامنية تقوي وتعضد من وشائج الأخوة والعلاقات... بين الناس عموما والأزواج فيما بينهم والآباء والأبناء.. كالمودة والرحمة والبر والإحسان والإيثار والإخلاص.. وما إليها.

فمفهوم الأسرة محوط بشبكة قيمية داعمة مؤطرة وموجهة، والفرد في الأسرة والأسرة في المجتمع دوائر تراتبية منفتحة على بعضها، يكون أدناها رافدا لأعلاها، وأعلاها خادما ومحافظا على أدناها، وفي كل مستوى من هذه المستويات تتحدد وظائف ومسؤوليات وتترتب حقوق وواجبات. فمفهوم الأسرة قائم أساسا على فلسفة التكامل الوظيفي المراعي للخصوصيات والأدوار، تؤدي فيه كل دائرة وظيفتها الخاصة الذاتية ووظيفتها العامة التشاركية والتفاعلية.

ولهذا فعدم إدراك الفرد رجلا أو امرأة لوظائفه الخاصة كذات فاعلة ولوظائفه العامة كذات متفاعلة وللقيم المؤطرة لهذا المستوى وذاك. يوقع لامحالة في التنازع وتترتب على ذلك مطالب تؤسس للخلاف والنزاع أكثر من الوئام والوفاق كما سنبين لاحقا. أي تنتهي إلى نقيض المراد والقصد من القيم ذاتها المرتبطة بالإنسان كذات وكيان أو بالأسرة كوظيفة.

فكل مفهوم قيمة إذن لبنة أساسية في هذا الجدار، ويمكن الحديث عن قيم أصول وكليات وعن قيم هي فروع متممة على نحو ما تقدم، كما يمكن الحديث في تصنيفات أخرى للقيم، عن قيم روحية نفسية.. وعن قيم سلوكية تربوية.. عن قيم مادية وأخرى معنوية.. الخ.

وتبقى القيم عموما ضرورة وجودية تؤسس للحالة السواء النموذجية أو المثالية المعيارية في الأسرة، انطلاقا من بناء كل فرد فيها بما يؤهله للأداء الجماعي، فاللبنة الهشة في الجدار قد تكون سببا في سقوطه، أو على الأقل منفذا لعلل وآفات كثيرة. فلا يكون مصلحا من لم يكن صالحا، ولا مقيما للعدل والإنصاف مع غيره من لم يقم ذلك مع نفسه، ولا مؤمنا بحرية غيره من لم يدرك حدود حريته، ولا بحق وواجب غيره من لم يدرك حق وواجب نفسه..

فالقيم تؤسس للكينونة المبررة للوجود، وللمعنى والغاية والقصد من الإيجاد، وضمن هذا الفضاء تتأسس وتتحدد الوظائف والواجبات والمسؤوليات. ومنظومة القيم من شأنها أن تدرأ آفات التمركز والتحيز والنزاع والصدام التي هيمنت الآن على كثير من النماذج الأسرية، بل تحولت إلى نظريات واتجاهات فكرية كما في كثير من النماذج التي تقدمها دول غربية اليوم للأسف.

3 – درء آفات ومخاطر التفكك القيمي :

المراد أولا بالتفكك القيمي، هو ضرب البنية النسقية الكلية، والتكامل الوظيفي بين مكونات الأسرة، بحيث تنفرط النواظم الجامعة والموحدة والقيم اللاحمة بينها، ويحل محلها اعتبار الفرد والذات أكثر من الجماعة، فتنشأ المطالب الخاصة في الدوائر الضيقة دون اعتبار للمصلحة العامة. بل قد يتضخم الأمر إلى حد التمرد عليها وتجاوزها كما هو الحاصل في كثير من النماذج الغربية. ولهذا الأمر طبعا ما يبرره في سياق تطور الحضارة الغربية التي انتقلت من تطرف لاهوتي خرافي كان يحكم باسم الدين إلى تطرف مادي علماني، يحكم باسم الدنيا فحسب، أي باستبعاد كلي أو جزئي لقيم الدين وتعاليمه. حيث تم تنصيب آلهة جديدة، كالعقل والعلم والطبيعة والحس والتجربة.. الخ.

لتعرف بذلك هذه الحضارة تطورا إلى ما هو أخطر، بعد عصر النهضة والأنوار إلى الحداثة وما بعدها ، حيث وقع التمرد على كل شيء بما في ذلك تلك المبادئ الأصول والأسس التي بني عليها الانتقال من مرحلة اللاهوت والخرافة الى مرحلة العلم والدولة ثم الى العدمية والعبثية واللامعنى والثورة والتمرد على كل شيء. وبتعبير بعض النقاد الانتقال من الحالة الصلبة التي تستند إلى مبادئ كلية كالعلم والعقل والمادة... إلى الحالة السائلة التي لا يمكن الإمساك بها على أساس معين. حالة اللامعنى والمتعة والاستهلاك، والإنتاج، والهيمنة والتوسع.. التي هيمنت على العلوم والمعارف والسياسات المختلفة.

في هذا السياق وعلى مستوى البنيات الاجتماعية وقع تضخيم كبير للذات والأنا، والتوجهات الفردانية والمتع اليومية، وتدخل منطق الإنتاج والاستهلاك لتوجيه الأذواق والأحلام والرغبات ، فتضخمت بذلك المطالب والحقوق الفردية والنزعات المتمركزة حول الذات، ونشأت مفاهيم ودلالات سائلة غير منضبطة حول الحرية والحق والذات والإشباع... حيث هيمنت قيم صناعة بديلة عن قيم الفطرة والكينونة، مبنية على التقابل وليس التكامل، وعلى النزاع والصراع وليس المودة والرحمة.

كان هذا طبعا مدخلا مؤثرا بقوة على تماسك الأسرة كبنية ووحدة داخل المجتمع، وعلى وظائفها ذات الطابع التكاملي وعلى القيم الضرورية اللاحمة بين عناصرها. فأصبح للمرأة مطالب وحقوق مفردة، وللرجل مطالب وحقوق مفردة، وللأطفال مطالب وحقوق مفردة صغارا وكبارا.. وتحول المجتمع إلى أقليات متعددة لكل منها مطالب وحقوق (النساء، الرجال، الأطفال، العجزة...) كما ظهرت تشكلات أسرية جديدة، مثلية بين رجال أو بين نساء، أو مع حيوانات... وتحولت إلى كتل ضغط أعلامي وسياسي وحقوقي.. لانتزاع حقها في الوجود القانوني.

عموما هنالك هيمنة لقيم بديلة تلبي نزعات التملك وليس الكينونة حسب تعبير الناقد إيريك فروم. وفارق كبير بين أن تكون وتملك وبين أن تملك دون أن تكون . ولا نلقي اللوم هنا على النموذج الغربي وحده مهما كان نافذ التأثير، فالأخطاء الذاتية التاريخية أكثر من أن تحصى. فقبل الاحتكاك بهذا النموذج وقع انعطاف وتحول كبير عن القيم القرآنية الموجهة لحياة الأفراد والجماعات، ونشأت عادات وتقاليد من التداول الاجتماعي عبر التاريخ فالتصق كثير منها بالدين وتقرر وكأنه دين. وكيف تكون دينا وفيها من الظلم والجور والتسلط والعدوان ما جاء الدين لإصلاحه وتقويمه أصلا؟ إن الشرع قد راعى الأعراف، لكن ما لم تعد على أصوله بالإبطال كما هو مقرر عند العلماء. وكل ذلك يستوجب مراجعات ذاتية تصحيحية تنطلق من الوحي المطلق المعصوم وليس من التاريخ النسبي المتغير.

خلاصـــــة:

لسنا هنا بصدد المقارنة بين نموذجين، بل بصدد النظر في القيم الموجهة لبناء أسرة هي وحدة أساسية في بنية المجتمع. وسواء كان الخلل ذاتيا أو خارجيا في تمثل النموذج السوي، فإنه يبقى حاكما ومهيمنا على غيره، ونعتقد أن مفهوم الأسرة في القرآن الكريم إذا ما أحسن عرضه ابتداء من أصل التكريم لبني آدم، وانتهاء إلى أدوار الهداية والرحمة والشهادة على الناس بالحق والعدل التي ينبغي أن تقوم بها الأمة، من شأنه أن يقدم حلولا لمشكلات كثيرة تعاني منها البشرية اليوم أمام عجز النموذج الغربي المادي الاستهلاكي على حل مخلفاته الاجتماعية إلا عن طريق تصديرها وتعميمها الأسف.

اليقينُ سَعادة ونجاة

د. عبد اللطيف احميد*

الخطبة الأولى :

الحَمْدُ لله الذي جَعَلَ اليَقِينَ مِنْ صفات عباده المُؤمنين، والثِّقَةَ فيه مِنْ شَمائِلِ أَوليائه المُتَّقين، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمّداً عَبْدُ اللهِ ورَسولُهُ، لَمْ تُزَعْزِعْهُ المَواقِفُ والبَلاَيا، ولاَ نَالَتْ مِنْ يقينه المَصائِبُ والرَّزايا، ﷺ وعَلَى آله وصَحْبِهِ الأَطْهار، وعَلَى مَنْ تَبِعَهُم مِنَ المُتَّقينَ الأَخْيار.

أَمّا بَعْدُ،

اعلَموا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ اليَقِينَ دَرجَةٌ مِنَ الإيمَانِ عَالِيةٌ، ومَنْزِلَةٌ مِنَ الإخلاَصِ للهِ رَاقِيَةٌ، لاَ يَصِلُ إليها إلاَّ مَنْ وَقَرَ الإيمانُ في قَلْبه، وسَيْطَرَ حُبُّ اللهِ عَلَى حسه وعقله، واليَقِينُ مَنْزِلَةٌ يُحبُّها اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى، ويُرِيدُ مِنْ عِبادِه أَنْ يَصلوا إلَيها، ولِهَذا يَقُولُ اللهُ عزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، فإبراهيمُ ﷺ كَانَ مُؤمناً، لَكنَّ اللهَ أَرادَ أَنْ يَزيدَهُ إيماناً ويَجْعَلَهُ مِنَ المُوقِنين، فَجعلَ اللهُ سُبْحانَهُ وَسيلَةَ ذَلِكَ أَنْ يُرِيَهُ مَلَكوتَ السَّماواتِ والأَرْضِ، فَبَعْدَ أَنْ رَآهُ وَتَأَمَّلَهُ، رَفَعَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى حُجَّتَهُ، والمُؤمِنُ الصادق دائما مُوقِنٌ بِأَمْرِ الله تَبارَكَ وتَعالَى، لِذا فَهُوَ مُستَقِيمٌ عَلَى أَمْرِه سُبْحانَهُ، ويَقومُ بِأَداءِ العَمَلِ الذي افتَرَضَهُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى عَلَيه، كَمَا أَنَّهُ مُوقِنٌ بِقَضاءِ الله وقَدَرِه ومَشيئَته، فَيُفَوِّضُ أَمْرَهُ لله وتَرتاحُ نَفْسَهُ لِما قَدَّرَهُ رَبُّهُ وأَمضاهُ، قَالَ تَعالَى: ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُومِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وحِينَ سَعدَ هَؤلاءِ بِبَرْدِ اليَقِينِ والتزامِه، شَقِيَ آخرونَ بانعدامه، قَالَ تَعالَى في شَأنِهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُستَيقِنِينَ﴾، وَقَدْ وَضَعَ رَسُولُ الله ﷺ المِيزانَ الدَّقيقَ لليقين فَقَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيءٍ حَقِيقَةً، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الإيمانِ حَتَّى يَعلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخطِئَهُ، وَمَا أَخطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»، وإذا وَصَلَ اليَقِينُ إِلَى القَلْبِ امتَلأَ القَلْبُ نُوراً وإشراقاً وإيماناً ومَحَبّةً لله تعالى ، وخَوفاً مِنَ الله، وثِقَةً في الله، وشُكْراً لَهُ، ورِضاً بِقَضائِه وقَدَرِه، وتَوَكُّلاً عَلَيه، وإنابَةً إِلَيه، واليَقِينُ مِنْ أَعظَمِ نِعَمِ الله عَلَى العَبْدِ، يَقُولُ ﷺ: «سَلوا اللهَ العَفْوَ والعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحداً لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْراً مِنَ العَافِيَة»، وكَيفَ لاَ يَكُونُ اليَقِينُ كَذَلِكَ وبِه اهتَدَى المُهتَدونَ، وفِيهِ تَنافَسَ المُتنافِسُونَ؟ قَالَ تَعالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، إِنَّ اليَقِينَ استحسانٌ دَائِمٌ لِما حَكَمَ اللهُ بِه، ورِضاً مُطلَقٌ بِما قَدَّرَهُ وقَضَاهُ، قَالَ تَعالَى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

أَيُّهَا المُسلِمون : إِنَّ المُتَتبِّعَ لِكتاب الله العَظيم، والدَّارِسَ لِتاريخ مَنِ اختَصَّهم اللهُ بالخَيْرِ والتَّكْرِيم، يَقِفُ وَقْفَةَ إجلالٍ وإكبارٍ لِصُوَرِ اليَقِينِ الذي لاَ يَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ، والثِّقَةِ في الله الواحِدِ الأَحَد، انظُروا في سِيرَةِ شَيْخِ المُرسَلِينَ نوح ﷺ الذي قَامَ امتِثالاً لأَمْرِ رَبِّه لِيَصنَعَ سَفِينَةً عَلَى اليَابِسَة حَيْثُ لاَ بَحْرَ، قَالَ تَعالَى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ، وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾، سُبْحانَ الله: أَيُّ عَقْلٍ لِهذا الرَّجُل؟ يَصْنَعُ سَفِينَةً ولاَ بِحارَ ولاَ أَنهارَ ولاَ مُحيطات؟ وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ مُمتَلِئُ القَلْبِ باليَقِينِ لأَمْرِ رَبِّه تَبارَكَ وتَعالَى، وبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ نُوحٌ عَلَيه السَّلاَمُ صُنْعَ السَّفِينَة، واشْتَدَّ اضطِهادُ قَومِه لَهُ تَضَرَّعَ لِرَبِّه سُبْحانَهُ، قَالَ تَعالَى في وَصفِه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾، فَكانَت النَّتِيجَةُ: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ، وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ، وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ، تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾، وهَذا إبراهيمُ ﷺ يَضَعُ مَبْدأً عَظيماً في اليَقِينِ الصَّادِقِ، تَهونُ عَلَى مَنْ التَزَمَهُ هُمومُ الحَياة، ويَتَدلَّى لِمَنْ عَمِلَ بِه حَبلُ السَّعادَة والنَّجاة، بِه تَطْمَئِنُّ النُّفوسُ، وتَنْزاحُ الكُروبُ، ومَعَهُ تَهونُ المَصائِبُ والخُطوبُ، حَكَى اللهُ عَنْهُ قَولَهُ مُخاطِباً قَوْمَهُ الذِينَ لَمْ يَعْمروا قُلوبَهم باليَقِين، ولَمْ يَعتَمِدوا عَلَى اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، قَالَ تَعالَى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ، أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾، إنَّه إيمان الصادقين وثِقَةُ المُوقِنين، رُزِقَ صَاحِبُها الوَلَدَ وهوَ شَيْخٌ شَيْبُهُ ظَاهِرٌ، وامرأَتُهُ عَجُوزٌ عَاقِرٌ، فَجَاءتْهُ البُشْرَى مِنْ رَبِّ البرية، وبِهذا اليقين أَيْضاً تَرَكَ إبراهيمُ الخَلِيلُ زَوْجَتَهُ وولَدَهُ في مَكَّةَ المُكَرَّمة وهِيَ يَومَئِذٍ وادٍ غَيْرُ ذي زَرْع، تَركَهُم امتثالاً لأَمْرِ الله، وبَعْدَها ضَرَعَ إليه ودَعاهُ، فَقَالَ: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾، وهَذا نَبِيُّ الله موسَى ﷺ عِنْدَما كَانَ فِرْعَونُ وجُنْدُهُ مِنْ خَلْفِه، والبَحْرُ أَمامَهُ، والمُستَضْعَفونَ مَعَ نَبِيِّ الله موسَى ﷺ يَخْشَونَ مِنْ فِرعَوْنَ وبَطْشِه، قَالَ تَعالَى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، فَقَالَ صَاحِبُ اليقين مُوسَى ﷺ : ﴿قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾

أَيُّها المُسلِمون : عَلَى نَهْجِ إبراهِيمَ الخَلِيلِ ﷺ، وإِخوانِه مِنَ الأَنبياءِ والمُرسَلين ذوي القَدْرِ الجَلِيل، رَبَّى ربنا تبارك وتعالى نَبِيَّنا مُحَمّدا ﷺ نَفْسَهُ وأَصحابَهُ عَلَى اليَقِينِ قَولاً وعَمَلاً، فِكْراً وسُلوكاً، إيمانا ومَنْهجاً، قَالَ تَعالَى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ أَنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وعَلَى هَذا المنوال كان أصحابُهُ رُضوانُ الله تَعالَى عَلَيهم، حيثُ مَلأَ اليَقِينُ قُلوبَهم، وسَيْطَرَ عَلَى مَشاعِرِهم، وهَذَّبَ سُلوكَهم، قَالَ عَزَّ وجَلَّ في وَصْفِهم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ، بَلْ كَانَ ﷺ يُرَبِّي النَّاشِئَةَ عَلَى اليَقِين، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّه ﷺ يَوْماً فَقَالَ: "يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احفَظِ اللَّهَ يَحفَظْكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّه، وَاعلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَو اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"، إِنَّها تَرْبِيَةٌ وإِعدادٌ لِلنُّفوس، كَي لاَ تَنْهارَ جَزَعاً أَمامَ الشَّدائد، ولاَ تَموتَ حَسْرَةً عِنْدَ المَصائِب، فَتلْزَمَ التَّجَمُّلَ والتَّماسُكَ والثَّباتَ، لِيَجْعَلَ اللهُ بَعْدَ العُسْرِ يُسْراً، إِنَّهُ الرَّجاءُ في الله والثِّقَةُ بِه والاعتِمادُ عَلَيه، ولاَ بُدَّ لَنا أيها المؤمنون وقَدْ كَلَّفَنا اللهُ بِعِمَارَةِ الأَرْضِ، أَنْ نَمْلأَ قُلوبَنا يَقِيناً بِالله؛ لِنَتَهيَّأَ لِمَشاقِّ الحَياةِ ونَنْهَضَ بِواجِبِنا العَظيم، ونُؤَدِّيَ دَوْرَنا المحتوم، في ثَباتٍ وثِقَةٍ وطُمأنِينَةٍ واعتِدال، ومَا أَحوجَنا إلى اليَقِينِ بِالله والتَّوَكُّلِ عَلَيه؛ لِنَعْمُرَ حَياتَنا كُلَّها سَكِينَةً وطُمأنِينَةً، ولنرى في أَحلَكِ الظُّروفِ وأَصْعَبِ الأَوقاتِ نَافِذَةً رَبّانِيَّةً يَشِعُّ مِنْها النُّورُ.

فَاتَّقوا اللهَ عِبادَ الله، واحرِصوا رَحِمَكُم اللهُ عَلَى اليَقِينِ الصَّادِقِ مَعَ الله، والثِّقَةِ في صَلاحِ مَا قَدَّرَهُ وقَضَاهُ، تَطْمَئِنُّ نُفوسُكُم، وتَرتاحُ قُلوبُكم، وتَصْلُحُ أَعمالُكُم.

أَقُولُ ما سمعتم وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الرحيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

عِبَادَ الله :

من الطرق المساعدة والموصلة إلى اليقين ما يلي:

1 – العلم: فبالعلم تعرف الله معرفة صحيحة، فتعرف ربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته.

2 – العمل بالعلم، ولذا قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: (العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل).

3 – ترك ما نهى الله عنه، وذلك مفارقة الشهوات وحظوظ النفس فإن المنغمس في الشهوات أنى له إدراك اليقين.

فإذا عملت أيها المسلم بهذه الوسائل للوصول إلى اليقين، فزت بإذن الله تعالى بثمرات اليقين ونتائجه، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

1 – الثبات لأن القلب إذا امتلأ يقينا ونورا وإشراقا فهو مستريح مطمئن، يقول بن تيمية رحمه الله: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة» ولذلك لما حبسه أعداؤه في سجن القلعة قال: (ما يصنع بي أعدائي جنتي وبستاني في صدري أنى رحت لا تفارقني – إن حبسي خلوة – وقتلي شهادة – وإخراجي من بلدي سياحة.)

2 – الهدى والفلاح: ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ البقرة 4

3 – الصبر : فلا يمكن للعبد أن يصبر إلا إذا كان عنده يقين بالثواب والأجر وأن ماعند الله خير وأبقى، ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾.

---

*خطيب مسجد سعد بن أبي وقاص بفاس

الائتساء برسول الله ﷺ ونماذج من ائتساء الصحابة به (2)

د. زكريا المرابط

أما مدلول الإسوة «بكسر الهمزة وضمها» فهو القدوة، قال الراغب الإصفهاني وغيره «الإسوة الحال التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره»[1].

والمسلمون مطالبون بالتأسي برسول الله ﷺ دون سواه؛ لأنه الأسوة الحسنة، فالله عز وجل اصطفاه، وطهره، واصطفاه على الخلق أجمعين، فكان أعبد الناس لرب الناس، ملك الناس، إله الناس، ولذلك أعلى الله عز وجل قدره، وخلد ذكره، وأعظم أجره، وأعطاه خمسا لم يعطهن نبيا قبله...

وأصل التأسي به ﷺ قول الله عز وجل: ﴿لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله، وأفعاله، وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره، ومصابرته، ومرابطته، ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين»[3].

وقال غيره: «والآية صريحة في ثنائه عز وجل على الصحابة رضوان الله عليهم لثباتهم وتأسيهم بالرسول الإسوة الحسنة، وتومئ أيضا إلى تعريض بالتوبيخ للذين لم ينتفعوا بهذه الإسوة من المنافقين والذين في قلوبهم مرض»

ومناسبة الآية أنها جاءت إثر موقف عصيب عقب غزوة الأحزاب التي كانت في السنة الرابعة أو الخامسة للهجرة.

وقد تحدثت سورة الأحزاب عن هذه اللحظة العصيبة التي مرت بها الشخصية المسلمة، وعن أحوالها، وملامحها، وكيف كانت تصاغ وتبنى؟

وتشير كتب السيرة . سيرة ابن اسحاق وابن هشام وغيرهما. إلى أن قريشا وغطفان ومن تبعهما من أهل نجد أرادوا غزو المدينة، فظاهرهم اليهود، وخانوا العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ، وخندق في الخندق، وجعل الذراري والنساء في الآطام (الحصون).

وأظهر المنافقون جزعا وجبنا شديدين، وأساءوا الأدب مع رسول الله ﷺ ومع المؤمنين وقالوا ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾ وقال قائلهم: كان محمد يعدنا بكنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.

أما المسلمون فقد زاغت أبصار كثير منهم، وبلغت قلوبهم الحناجر، وزلزلوا زلزالا شديدا... وقد صور حذيفة رضي الله عنه هذه الحالة الشديدة التي مرت بها الشخصية المسلمة فقال: «قال رسول الله ﷺ من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع.. فلم يلب أحد النداء حتى عينني...»

أما الصفوة منهم فقد صبروا وصابروا ورابطوا وأيقنوا بنصر الله عز وجل ووعده، وما زادهم ذلك إلا إيمانا وتسليما.

قال الله تعالى : ﴿ولما رأى المومنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما، من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾[4].

أما التأسي برسول الله ﷺ، فإن الله عز وجل جعله متعلقا بذاته ﷺ دون وصف خاص ليشمل الائتساء به في أقواله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه[5].

وليس في الآية ﴿لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة﴾ تفصيل في الواجب من هذا الائتساء والمستحب منه. وأصل الخلاف في ذلك مبثوث في كتب أصول الفقه[6].

غير أن الإمام القرطبي يرى احتمال حمله على الوجوب في أمور الدين، وحمله على الاستحباب في أمور الدنيا[7].

وأفضل ما قرأت في ذلك -خروجا من الخلاف- ما قاله الإمام أبو بكر الجصاص رحمه الله وإن كان الصحيح عنده أن لا دلالة فيه على الوجوب، بل دلالته على الندب أظهر.

قال «إن التأسي به هو أن نفعل مثل ما فعل، ومتى خالفناه في اعتقاد الفعل أو في معناه لم يكن ذلك تأسيا به، ألا ترى أنه إذا فعله على الندب وفعلناه على الوجوب كنا غير متأسين به، وإذا فعل ﷺ فعلا لم يجز لنا أن نفعله على اعتقاد الوجوب فيه حتى نعلم أنه فعله على ذلك، فإذا علمنا أنه فعله على الوجوب لزمنا فعله على ذلك الوجه»[8].

وإن من جملة حقوق هذه الإسوة: محبته ﷺ، وتوقيره، والتأدب معه، والصلاة عليه، والاهتداء بهديه وسنته، وتبليغ دعوة ربه، وكمال التسليم له، والانقياد لأمره...

---

1 – المفردات 22/1، والكليات ص 114–115
2 – الأحزاب 21
3 – تفسير ابن كثير 483/3
4 – الأحزاب 22–23
5 – تفسير التحرير والتنوير
6 – ينظر الخلاف الحاصل في أفعاله ﷺ.
7 – الجامع لأحكام القرآن
8 – أحكام القرآن

عبرة

قال مطرف بن عبد الله رحمه الله : «لو أخرج قلبي فجعل في يدي هذه اليسرى، وجيء بالخير فجعل في يدي هذه اليمنى، ثم قربت من الأخرى ما استطعت أن أولج في قلبي شيئا حتى يكون الله عز وجل يضعه»(1).

لا تظنن أخي السالك أن ما أنت فيه من هداية وتوفيق للطاعات سببه أنك أهل لذلك، بل هو محض فضل ورحمة من الله عز وجل ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء﴾ فالمنة لله وحده ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين﴾، وقد كان الصحابة وهم يبنون المسجد النبوي يرتجزون:

لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا

فالهداية إذن منة من الله تعالى يمن بها على من يشاء من عباده. بيد أن العبد مأمور ببذل الأسباب الجالبة لها، ولعل أهمها :

– الصدق في طلب الهداية : فلا يصدق أحد في طلبها إلا وفاه الله مراده، قال تعالى : ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا﴾(الأنفال : 70).

– الإيمان والعمل الصالح : قال سبحانه : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ (يونس : 9).

– العكوف على القرآن تلاوة وتدبرا وعملا : قال جل وعلا :﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾(الإسراء : 9). وقال أيضا : ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾(الحديد : 15–16).

– الدعاء : قال الله تعالى في الحديث القدسي : «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم». وكان من دعاء النبي ﷺ : «اللهم اهدنا فيمن هديت».

فاللهم إنا نسألك أن تهدينا وتهدي بنا وتجعلنا هداة مهديين غير ضالين ولا مضلين. آمين.

---

1 (مدارج السالكين 108/3)

ذ. منير مغراوي

الآثار السلبية لغياب فقه الواقع في العمل الدعوي المعاصر 2/1

د عبد الكبير حميدي

شكّل الواقع بكل مظاهره وتجلياته مناطَ التغيير وموضوع الإصلاح في العمل الإسلامي المعاصر، بل إن تغيير الواقع وإصلاح ما به من فساد واختلال، وإخضاعه لتصورات الإسلام وقيمه وأحكامه، يشكّل عاملاً مهماً من عوامل قيام حركة البعث الإسلامي المعاصر، وغاية من أكبر غاياتها.

غير أن المتأمل لأشكال الخطاب، وأنواع الفعل الدعوي المعاصر بأبعاده المختلفة: تنظيمياً، وتربوياً، واجتماعياً، وثقافياً، وسياسياً، لا يجد كبير عناء في الوصول إلى استنتاج مؤسف مفادُه: ضعف حضور فقه الواقع في الأوراق والتصورات، وفي البرامج والخطط، وفي الأنشطة والأعمال. هذا الضعف يؤثر لا محالة على مردودية العمل، يَسِمُهُ بسمة الارتجال والعفوية، ويقلل من ثماره ونتائجه في الواقع. هذا على سبيل الإجمال، وأما على سبيل التفصيل فمن الآثار السلبية لغياب فقه الواقع في العمل الدعوي المعاصر نذكر:

1 - الاشتغال بالقضايا الهامشية على حساب القضايا المركزية:

إن من أهم ما يميز العمل الإسلامي المعاصر خاصية الشمول؛ ذلك أنه يشتغل على كل الجبهات، ويسعى إلى إقامة الدين في كل مجالات وميادين الحياة العامة: في التربية، والثقافة، والإعلام، والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع وغيرها. غير أن هذه المجالات وما يبذل فيها من جهود لا تكون على نفس الدرجة من الأولوية والأهمية دائماً، وإنما يكون بعضها -أحياناً - أولى وأهم من بعض، حسب ما تمليه وتقتضيه ظروف الزمان والمكان والإنسان. ومن ثم فلا بد للعمل الإسلامي المنظم من سلّم أولويات يحدد مجالات العمل، ومرتبة كل مجال، ويضع برنامجاً لما يَلزم من الأنشطة والأعمال في كل مجال، ومرتبة كل عمل أو نشاط، حسب ظروف ومعطيات الفئة البشرية المستهدفة، واللحظة التاريخية، والبيئة الجغرافية. وكل ذلك يتأسس في المقام الأول وبالدرجة الأولى على مدى القدرة على فقه الواقع، ورصد معطياته بكل دقة وموضوعية. ولعل الناظر في الواقع الراهن للعمل الدعوي يلحظ اختلالاً واضحاً في سلّم الأولويات، وارتجالاً بيّناً في توزيع الجهود والمبادرات، والأمثلة في ذلك أظهر وأكثر من أن تُحصر وتذكر. وأصل الداء في كل ذلك كله هو: غياب فقه الواقع الذي عليه ينبني فقه التنزيل.

2 - التيه وعدم تحديد الوجهة، وعدم امتلاك الرؤية المبصرة، واستراتيجية العمل:

لكل عمل من الأعمال رؤية واستراتيجية تناسبان طبيعة ذلك العمل، وتأخذان بعين الاعتبار خصوصياته، وظروفه في الزمان والمكان والإنسان. ويقصد بالرؤية في مجال العمل الإسلامي: التصور العام الذي يحدد منطلقات العمل، وأهدافه، ووسائله، ومجالاته، وضوابطه العامة. في حين يقصد بالاستراتيجية: الخطة العامة التي تحدد منهج وكيفية تنزيل الرؤية، وتصريفها في الواقع، وذلك من خلال برنامج أولويات يرتب مجالات العمل حسب الأهمية، ويتكون من مراحل، وأهداف، ووسائل دقيقة ومحددة وقابلة للقياس. فإذا كانت الرؤية تكتسي طابعاً تصورياً نظرياً عاماً؛ فإن الاستراتيجية تتميز بطابعها المنهجي الإجرائي والعملي، باعتبارها أجرأة وتنزيلاً للرؤية. وإذا كانت نجاعة وفعالية الرؤية العامة تقاس بمدى قدرتها على معالجة مشاكل الواقع، والاستجابة لمطالبه وتحدياته؛ فإن نجاح الاستراتيجية ومردوديتها، إنما تقاس بمدى قدرتها على تكييف الرؤية مع معطيات الواقع التفصيلي وحسن تنزيلها عليه، أي أن فقه الواقع يظل مصدراً أساسا ومرجعاً مهماً في تكوين كل من الرؤية والاستراتيجية. إلا أنه بالرجوع إلى العمل الدعوي المعاصر فإن الخَصَاص الواضح، والفقر الكبير في الأوراق والأدبيات المتعلقة بفقه الواقع، أفرغ الرؤى والاستراتيجيات من محتواها، وحَدّ من فعاليتها وأثرها في توجيه الواقع والتأثير على أحداثه ومجرياته.

3 - تحول العمل الدعوي المنظم إلى عمل نخبوي:

النخبوية من أبرز سمات العمل الدعوي المعاصر، ومعنى النخبوية: «انحصار العمل الدعوي في فئة أو فئات معينة من الناس ذات خصائص، وانتماءات عرقية، أو جغرافية، أو ثقافية، أو اجتماعية، أو مهنية، واحدة أو متقاربة دون باقي فئات المجتمع؛ مما يضيق من آفاق العمل، ويحد من انفتاحه على أوسع مجال بشري، حين يطبعه بلون عرقي، أو جغرافي، أو اجتماعي، أو ثقافي، أو مهني واحد». وظاهرة الفئوية أو النخبوية في العمل الدعوي ترجع في الغالب إلى افتقار العاملين فيه إلى القدرات والكفايات التواصلية التي توصلهم إلى الآخر، وضعف درايتهم بالمداخل والمفاتيح التي توصلهم إلى مختلف فئات وتشكيلات المجتمع، وإنما يرجع ذلك في نهاية المطاف إلى ضعف استيعاب الواقع الاجتماعي من حيث مكونات المجتمع وفئاته، والعوامل الموجهة له والمؤثرة فيه، وأنماط التطلعات والاتجاهات الحاكمة لسلوك الجماهير، والمُحدِّدَة لأشكال العلاقات بينهم، وهذا بدوره يرجع إلى أحد سببين أو إليهما معاً، وهما:

أولاً: ضعف الانخراط الميداني والمشاركة الفعلية في الواقع الاجتماعي، بما يؤدي إلى مراكمة الخبرات الميدانية والمعارف الصحيحة حوله، باعتبارها المدخل إلى تكوين تصور كلي شامل للواقع الذي اصطلحنا على تسميته بـ«فقه الواقع».

ثانياً: الافتقار إلى الأدوات المنهجية، والآليات النظرية التحليلية الكفيلة بحسن قراءة الواقع، وتدبر مجرياته، وتحليل بُنياته، وسبر أغواره.

ضروب الدعوة وقواعدها 2

د. عبد اللطيف تلوان

أولا : ضروب الدعوة :

الدعوة إلى الله تعالى يمكن أن نفرعها إلى عدة ضروب لاعتبارات مختلفة :

فباعتبار المتابعة وعدمها تنقسم إلى قسمين : دعوة متابعة ودعوة عابرة :

دعوة متابعة : وهي ملازمة المدعو وصحبته وحمل همه إلى أن يبلغ الفطام، وهذه هي المطلوبة في حد ذاتها.

دعوة عابرة: وهي التي لا تليها متابعة بل تكون عرضية فقط. وهي لا تخلو من فائدة إذ تؤول نتائجها إلى الأولى.

أما باعتبار مراتب الدين فإنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام : دعوة إلى الإسلام أو إلى الإيمان أو إلى الإحسان:

دعوة إلى الإسلام: تكون هذه الدعوة في صفوف الخارجين عن الإسلام أو الداخلين فيه، ولكنهم لا يلتزمون بشعائره من صلاة وصيام وزكاة وحج لبيت الله الحرام...

ويشترط فيه شرط خاص وهو أن يكون الداعي مسلما ملتزما بتعاليمه.

دعوة إلى الإيمان: وهي الدعوة التي يُرقي بها الداعي المؤمن غيره إلى درجة الإيمان، والتي هي مرتبة أعلى من الإسلام. ويشترط في الداعي أن يكون مؤمنا بعد أن كان مسلما.

دعوة إلى الإحسان: وهي محاولة الارتقاء بالمدعو إلى درجة المراقبة، التي هي أعلى مراتب الدين الحنيف. ويشترط في الداعي أن يكون محسنا بعد أن كان مؤمنا مسلما.

أما باعتبار الكيفية فإنها كذلك ثلاثة أضرب : قولية وفعلية وسلوكية.

الدعوة القولية: هي التي تكون بالقول ويدخل فيها ما كان مكتوبا ومسموعا ومرئيا.

الدعوة الفعلية: وهي التي يجتهد فيها الداعي باقتراح أعمال و أفعال تواكب العصر كإنشاء جمعيات، ومواقع دعوية، أو مسارعة إلى أعمال الخير والبر والإحسان.

الدعوة السلوكية: وهي لا تحتاج إلى قول أو فعل بقدر ما تحتاج إلى التخلي والتحلي.

أما باعتبار أطراف الدعوة فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام : داع ومدعو ووسيلة. وسيأتي تفصيل ذلك في العنصر الموالي.

ثانيا: قواعد في الدعوة إلى الله :

قد تبين مما سبق أن الدعوة باعتبار أطرافها تنقسم إلى ثلاثة أطراف.

الطرف الأول : الداعي

الطرف الثاني : المدعو

الطرف الثالث : الوسيلة

والحديث عن قواعد الدعوة إلى الله تعالى سيجري مجرى الأطراف السالفة الذكر:

قواعد الطرف الأول: الداعي

- النية الحسنة.
- ضرورة البدء بالنفس.
- القدوة الحسنة.
- عدم الدعوة إلى بدعة.
- مخاطبة الناس بما يحبون.
- مراعاة الأولويات.

قواعد الطرف الثاني : المدعو

- مراعاة المرحلة العمرية للمدعو.
- مراعاة المستوى التعليمي والثقافي له ومخاطبته بلغته وعلى قدر عقله.
- تكوين علاقة شخصية حقيقية مع المدعو وتحقق التواصل الكافي معه، وتقيم كل أركان المودة والمحبة
- اجتذاب المدعو بالجديد وبكل ما يقوي فيه الإيمان وقيم الخير
- التبسم في وجهه وحب الخير له.
- الصبر على أذاه وجفائه.

فضلا عن هذا فإن المدعو يجب أن تتوفر فيه مقومات الخير والميل إليه والاستجابة والاجتهاد في الطاعات والقربات والقابلية للترقي في مدارج الخير والعلم والمبادرة ولكل خير، ثم مؤهلات التواصل الاجتماعي لأن الدعوة تحتاج إلى العنصر البشري الخير والفعال.

قواعد الطرف الثالث : الوسيلة

- مخاطبة القلوب، فالدعوة إنما تلامس الأرواح والقلوب لا الأجسام والأبدان.
- التلطف: وهي قاعدة ذهبية في جذب الناس والتأثير فيهم.
- البحث عن العوائق...
- البحث عن الحلول...
- اعتماد أساليب الحوار في التواصل.

من خصائص المفاهيم القرآنية.. مفهوم الهداية نموذجا

د. سعيد شبار

المفاهيم القرآنية وحدة كلية لا تتجزأ، وهذه خاصية من خصائص القرآن الكريم، ووجه من وجوه إعجازه الكثيرة التي ليست لغيره من الكتب. إذ إن مفاهيمه التي تكونه سواء في المجال العبادي أو في المجال العادي،أو في أي مجال من المجالات تعلقت به هذه المفاهيم، هي شبكة ومنظومة بينها من الوشائج ومن الترابط وبينها من الوحدة والتكامل، ما يجعل كل مفهوم يستمد من المفهوم الآخر قليلا أو كثيرا. ولهذا يستحيل أن يؤخذ مفهوم مفردا منفصلا عن سائر المفاهيم الأخرى، وقد قيل إن القرآن: وحدة، أو كلمة، أو بنية، أو نسق، أو نظام.. إلى آخره. وكل هذا يشير إلى أن المفاهيم القرآنية مفاهيم ذات وحدة كلية تحدد تصورا معينا، ثم بعد ذلك تنتقل إلى الوحدات الجزئية المنضوية تحت هذه الوحدة الكلية. ومعروف أنه قبل مجيء الإسلام كانت للعرب ألفاظ وكانت لها مصطلحات وكانت لها لغة عربية متداولة، والقرآن نزل بهذا اللسان العربي الذي كان متداولا، ونزل بهذه الألفاظ التي كانت متداولة. لكن كما يذكر كثير من علماء اللغة، فالقرآن مارس ثلاثة أنواع من التعديلات على الألفاظ التي كانت متداولة في اللسان العربي عند نزوله، فهو إما أن يعدل اللفظ تعديلا كاملا ويعطيه دلالة شرعية جديدة لم تكن له قط في السابق، وإما أن يعدل في اللفظ تعديلا بسيطا فيحافظ على جزء من دلالته ويضيف عليه دلالة أخرى، وإما أن يحافظ عليه كما هو إذا كانت دلالته معتبرة من حيث الناحية الشرعية. وهذا في سائر الألفاظ التعبدية والعادية، فالحج كان في اللغة القصد، ولا يزال معناه القصد، لكن أخذ معنى آخر ودلالة شرعية جديدة هي أركانه وواجباته ومستحباته ومكروهاته إلخ. وقل مثل ذلك في الصلاة والزكاة والكفر والإيمان.. وغيرها.

إن خصائص الألفاظ والمفاهيم القرآنية كثيرة أذكر من بينها ما يلي:

الخاصية الأولى: هذه الألفاظ والمفاهيم القرآنية هي ألفاظ ومفاهيم مطلقة تابعة لإطلاقية الوحي، فنحن إذا آمنا بأن كتاب الله تعالى المنزل الخاتم لسلسلة الرسالات السماوية مستوعب للزمان والمكان والإنسان، فكل مفهوم فيه يمتلك هذه الخاصية كذلك، أي خاصية الإطلاق المستوعبة للزمان والمكان والإنسان حيث كان. فلا يمكن لأي مفهوم من هذه المفاهيم أن يتحيز في مرحلة زمنية معينة فنقول مثلا: إن مفهوم الإيمان أو البر أو التقوى.. هو خاص بمرحلة دون أخرى، كالاجتهادات البشرية أو الاصطلاحات المدرسية أو المذهبية. إذ يمكن للاصطلاح المدرسي أن يكون خاصا بهذه المدرسة في القرن الأول أو الثاني أو الثالث، وأن تظهر اصطلاحات أخرى جديدة. لكن المفاهيم القرآنية لا يمكن فيها هذا، لأن المفهوم القرآني وإن كان مفهوما واحدا فهو يستمد إطلاقيته من إطلاقية الوحي نفسه، فله هذه الخاصية التي ليست لغيره، خاصية كونه وحيا مطلقا مستوعبا للزمان والمكان والإنسان.

الخاصية الثانية: وهي أن المفاهيم القرآنية مفاهيم مستوعبة، نسق مفتوح غير منغلق، ولهذا استطاع الإسلام عندما جاء أن يستوعب كل الفضائل وكل المفاهيم التي لها صفة إيجابية في التراث الجاهلي العربي، أو حتى في تراث الأمم المخالفة للإسلام. إذ ليس هناك مشكل في الثقافة الإسلامية وفي المفاهيم الإسلامية أن تستوعب مفاهيم أجنبية على أساس أن تصبح لهذه المفاهيم الأجنبية وظيفة أخرى داخل النسق القرآني أو داخل النسق الإسلامي عموما. ولهذا اختلف علماؤنا قديما، علماء اللغة والأصول وغيرهم في الألفاظ التي وقعت في القرآن حيث قيل إنها ألفاظ عربية، وقيل أعجمية وقعت في القرآن، وقيل أعجمية تعربت.. وهذا خلاف معروف عند اللغويين والأصوليين. مهما يكن من هذه الألفاظ كالعهن والطور والاستبرق.. وغيرها، فاستعمال القرآن لها أعطاها وظيفة جديدة، وأصبحت لها دلالة جديدة داخل النسق والسياق القرآني، بل أصبحت جزءا من القرآن تتلى بتلاوته. ولهذا فخاصية الاستيعاب خاصية مهمة في المفاهيم الإسلامية، لأنها قادرة على أن تلتقط كل ما هو إيجابي. وهي موازية لإطلاقية المفاهيم القرآنية، أي أن لها هذه المقدرة على استيعاب كل إيجابي في الحضارات والثقافات والأديان واللغات والعادات.

الخاصية الثالثة: أن المفاهيم القرآنية محفوظة بحفظ القرآن، لا يمكن أن يطرأ عليها التحريف أو الانتحال أو التغليط، فالقرآن محفوظ بحفظ أصوله وبحفظ كلياته. فهي محفوظة من هذا الجانب. ولمتسائل أن يتساءل: كيف يطرأ الخلل والتشويش على مفهوم محفوظ لدرجة الاختلاف المفرق؟ نقول، يكون ذلك إذا قصرنا نحن في فهم هذا المفهوم أو في التعرف على دلالته وعلى معانيه وعلى الحكم والأحكام المرادة منه، أو حملناه ما لا يحتمل من المعاني التي في أذهاننا انتصارا لأهواء أو آراء معينة. أما المفهوم في أصله فهو محفوظ بحفظ القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الخاصية الرابعة: أن مفاهيم القرآن تامة، ولهذا عندما نزل قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾، لم يكن المراد بها إكمال الجوانب التعبدية في الإسلام فقط، بل هو إتمام كل شيء في الإسلام بما في ذلك كلمات الإسلام. كما قال الله تعالى: «وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا». فهي تامة بمعنى أننا لا يمكن أن نجد بناء أكمل وأحسن وأصح من البناء القرآني للمفهوم،لأنه من الله تعالى، ولأنه وحي، ولأنه مطلق، ولأنه محفوظ. وهذه كلها خصائص لا يمكن أن تكون من الألفاظ والمفاهيم التي يبنيها فكر الإنسان النسبي القاصر المتغير حسب الزمان والمكان.

الخاصية الخامسة: أنها سننية نظامية. أي أن بناءها المنهجي بناء نسقي منتظم منضبطة مواقعه وتراكيبه ودلالاته ضمن نسق كلي ناظم، ثم ضمن أنساق فرعية وجزئية تفصيلية كما قال عنه منزله سبحانه وتعالى:﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾. وكما قال عنه المنزل عليه ﷺ ضمن الحديث المشهور: «لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد». وهذه البنائية أو السننية النظامية، كما يذهب بعض أهل العلم، في كتاب الله تعالى معادلة للسننية وللنظام الموجود في خلق الله تعالى. فمواقع الآيات في الكتاب كمواقع النجوم والكواكب في أفلاكها ومداراتها، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ.فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ. لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ولذلك نفوا الترادف والتكرار في ألفاظ القرآن والقول بالنسخ والغريب فيه.. وما إليها من القضايا الموروثة من غير تدقيق وتمحيص منهاجي في ضوء البنائية والنسقية والنظام الذي نحن بصدده.

ولقد ارتبطت آيات النص بآيات الآفاق والأنفس ارتباطا وثيقا وجُعل بعضها دالا على بعض، كلها تهدي إلى الحق وترشد إليه. وقصدنا بإيجاز في هذا الجانب، التنبيه على الوحدة الكلية مفهومية كانت أم قيمية أم تشريعية من مدخل البناء النسقي المنتظم مهما تفرعت قضاياه. وإلى أن أي عمل كيفما كان إذا لم يأخذ بعين الاعتبار أن ثمة منهجا سننيا حاكما لتفعيل الآيات في الأنفس والكون والمجتمع، إصلاحا أو تغييرا، لا يمكنه أن يعود بفائدة أو ثمار مرجوة. ولن يكون في أحسن أحواله إلا كسائق سيارة لا دليل سياقة معه يبصره بالعلامات المبثوثة في كل مكان، فانظر ما سيصنع من الحوادث ويلحق من الأضرار بنفسه وبغيره ! وذلك للأسف شأن كثيرين ممن يتصدون للتغيير باسم الإسلام فيسيؤون وهم يظنون أنهم يحسنون.

إن كل مفهوم قرآني له هذه الخاصية السننية النظامية والمنهجية الآياتية، التي تحدد وظيفته البنائية الخاصة به ووظيفته الكلية ضمن المجموع النسقي للمفاهيم، يشتغل لذاته ولغيره في الوقت نفسه. وذلك أشبه ما يكون بعمل أعضاء الإنسان، فكل عضو له وظيفة خاصة لا يقوم بها غيره ووظيفة عامة يقوم بها مع غيره في شكل نظامي مطرد إذا تعطل وقع الخلل.

الخاصية السادسة: أن المفاهيم القرآنية عملية وواقعية، أو حركية. وذلك باعتبار أنها نزلت إلى إنسان مكلف مستخلف مدعو إلى أن يتمثل هذه المفاهيم حسب جهده وطاقته، وأن يبني بها حضارته وأن يعمر بها الكون، وأن يحقق بها استخلافه ووراثته. فهي مطلقة كونية لكنها أيضا عملية واقعية وديناميكية حركية، توجه وتسدد عمل الفرد والجماعة على حد سواء، وتصلح من حال الفرد والجماعة على حد سواء.

هذه بعض من الخصائص التي تميز المفاهيم القرآنية عامة وإن كانت هناك خصائص أخرى أكثر تفصيلية يمكن استخلاصها باعتبارات وترتيبات مختلفة. ومفهوم الهداية واحد من هذه المفاهيم القرآنية، تنسحب عليه هذه الخصائص كلها. طبعا لا يمكن أن نحيط إحاطة كاملة بهذا المفهوم لأنه مطلق، ونحن مهما

←

اجتهدنا سوف نحيط بجزء منه، تماما كما أن المفسر لا يمكن أن يحيط بكل مراد الله تعالى من كلامه في القرآن، وإنما يحيط بجزء من كلام الله تعالى في كتابه وهو ما ينتهي إليه في تفسيره.

بالرجوع إلى معاجم اللغة و إلى كتاب الله تعالى الذي اعتمدت عليه هذه المعاجم، سوف نجد بعض الدلالات المتنوعة لمفهوم الهداية. فمن ذلك أنها : تعريف وبيان وإرشاد إلى الحق وزيادة في اليقين. و هذا تدل عليه كثير من أقوال اللغويين استنباطا من القرآن الكريم نفسه، لأن مفهوم الهداية يكاد يكون بناء قرآنيا كاملا.أي أن الهداية في السابق لم تكن متداولة بشكل كبير إلا من حيث الجانب اللغوي الذي هو بيان الطريق أو إرشاد الضال وما إليها من المعاني الحسية المادية. أما الجانب التعبدي الإيماني فهذا بعد جديد كامل أعطاه القرآن الكريم لهذا المفهوم، وأدخله عليه وأصبح هو الجانب الشرعي المتعلق به. ورد في معاجم اللغة (كتاج العروس واللسان والصحاح وغيرها...) قول الله تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ : أي يزيدهم في يقينهم هدى. «وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى «قال: الزجاج أي أقام على الإيمان، وهدى واهتدى بمعنى واحد وهداه الطريق أي عرفه إياه ودله عليه وبينه له ومنه قوله تعالى: «أولم يهد لهم» قال أبو عمر ابن العلاء أي أولم يبين لهم.ونقل عن البعض هداه إليه بمعنى أرشده إليه فتكون هذه الآيات وما في معناها دالة على جانب من الهداية الذي هو التعريف والبيان والإرشاد إلى الحق دائما والزيادة في اليقين كذلك.

نجد في طائفة أخرى من الآيات معاني ودلالات أخرى تشير إلى أن الهداية هي سمت وسيرة وطريق ومذهب. كما في قول الله تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾، ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾، ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾. ونجد في معاجم اللغة بناء على هذه الآيات: والهدى والهداية بالكسر الطريقة والسيرة، يقال فلان يهدي هدى فلانا أي يفعل مثل فعله ويسير سيرته. وفي الحديث «أهدوا بهدي عمار»، أي سيروا بسيرته وتهيؤوا بهيئته، وما أحسن هديه أي سمته وسكونه.إذن فالهداية من خلال هذه النصوص والتي في معناها لها هذه المعاني الدالة على السمت والسيرة والطريقة والمذهب.

من خلال طائفة أخرى من النصوص يمكن أن نستخلص للهداية معاني أخرى بمعنى الإمامة والزعامة والتقدم. أي الشيء الذي يتقدم ويتزعم ويكون إماما، وكانت العرب تقول : «أقبلت هوادي الخيل إذا بدت أعناقها»، والهوادي من الإبل أول رعيل يطلع منها لأنها المتقدمة. ومن المجاز الهوادي من الليل أوائله لتقدمها. وكانت العرب تقول كذلك للنصل من السهم، يعني رأس السهم: الهادي، لتقدمه. وتقول للعصا : الهادية. لأن الرجل يمسكها فهي تهديه، أي تتقدمه وتدله على الطريق. وتقول أيضا الهادي للدليل الذي يتقدم القوم ويتبعونه ليكون هو هاديهم في هذه الطريق أو في هذه السبيل.

هذه معان مختلفة لمفهوم الهداية كما لاحظنا من سياقها وورودها في القرآن الكريم، وطبعا هذا المفهوم مستوعب يمكن أن نستنبط له معاني ودلالات أخرى، لكن من حيث الإجمال الهداية دائما في القرآن الكريم تكون إرشادا إلى الحق وبيانا له، وحتى إن حملت معنى السيرة والسمت والسلوك، فهو السمت والسلوك أو السيرة الدالة على الحق أيضا. إذا نحن ندور في فلك مفهوم الأصل فيه أنه يهدي صاحبه أو مقتفيه ومتتبعه إلى الحق، ويهديه إلى الرشاد والصواب.

الهداية في البدء كانت خلق الإنسان مهتديا إلى الحق سبحانه وتعالى وإلى عبادته وتوحيده، كما قال الله تعالى في العهد الذي أخذه على الناس قبل خلقهم: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾، وبعد خلقهم : ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾، وفي الحديث : «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ». ولهذا كان الإنسان موحدا ثم طرأ عليه الشرك، وطرأت كل أشكال الانحراف على عقيدة التوحيد فيما بعد.

ومفهوم الهداية هو سنة في الخلق، ويذهب البعض إلى أنه إحدى أهم أربع سنن كبرى متحكمة في الخلق والمخلوقات، سنن الخلق والتسوية والتقدير والهداية، الواردة في قوله تعالى: ﴿الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى﴾. فالله تعالى خلق الخلق، والله تعالى سوى الخلق، والله تعالى قدر مقادير هذا الخلق، و الله تعالى هدى الخلق وبين له سبيل الرشد وسبيل الفلاح. فهذه أربعة أركان أساسية تكاد تحيط بالمخلوقات كلها وتعطيها بعدا إسلاميا، لنقل فلسفيا أو معرفيا، لم يكن لها في السابق، يحدد أصولها ومنطلقاتها، ووسائلها وسعيها، وغاياتها ومقاصدها.

ثمرة الهداية إذا ومقصدها العام هو أن توصل الإنسان بيانا وإرشادا وسمتا وسلوكا وزعامة وتقدما.. إلى الحق سبحانه، وعندما يتعرف هذا الإنسان على الحق تعالى وتقدس عليه أن يتحقق بالعبادة الواجبة عليه تجاهه، وأن يخلص في هذه العبادة كي تكون عبادة مقبولة. والعبادة التي نتحدث عنها ليست شعائر دينية تعبدية محضا فقط. العبادة هنا هي دائما بمعناها الشامل الواسع

والآيات في هذا كثيرة جدا كما في قوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾، ﴿ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين﴾..

تبقى الهداية هنا نوعان إذا ما اقترنت بالمخلوقات، هداية طوعية وهداية كدحية، ﴿وله أسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها﴾. والهداية الطوعية هي الهداية المتوجهة إلى المخلوقات، غير الإنسان المكلف، التي جعل الله تعالى الهداية فيها طبعا وفطرة وغريزة وطوعا، كما حكى الله تعالى عن السماوات والارض في قوله: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾، وكما هو في سائر المخلوقات الأخرى. ثم الهداية الكدحية المتعلقة بالإنسان باعتبار أن الإنسان مكلف ومستخلف وله أن يختار، ولكن لكي يهتدي لابد له من كدح أي لابد له من اجتهاد ولابد له من بذل ومن استفراغ وسع حتى تتحصل له هذه الهداية، ﴿ يا أيها الانسان إنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه﴾. إذن نحن أمام نوعين من أنواع الهداية ينبغي أن ندركهما، فلا تتأتى الهداية للإنسان إلا إذا قام بجزء مقدر من الجهد الذي يجعله يستحق هذه الهداية، وهذا مقصد كبير من مقاصد التشريع.

وقد يقال لماذا لم يهد الله تعالى الناس جميعا وينتهي الأمر وتنتفي الشرور من الوجود؟ الجواب على ذلك ما أشرنا إليه سلفا ضمن الخصائص، وهو أن مفهوم الهداية له علاقة بشبكة من المفاهيم الأخرى يستمد منها وتستمد منه. مثل الابتلاء والاستخلاف والتمحيص والإيمان والعمل الصالح... ومفاهيم أخرى قرآنية كثيرة. نجد مجموعة من الآيات تبني وتؤسس هذا المعنى داخل المفهوم، كما في قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾، فهداية الإنسان إلى سبيل الله تعالى هنا تستلزم جهادا قبليا. ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله﴾، حيث اتباع أحسن القول مقدم على الهداية. ﴿ومن يومن بالله يهد قلبه﴾، حيث الإيمان مقدم على الهداية. ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾، حيث الايمان وعمل الصالحات مقدم. ﴿قل ان الله يهدي من يشاء و من أناب﴾، حيث المشيئة والانابة مقدمة. ﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾، حيث الاتباع مقدم.. وهكذا. ففي هذه الآيات ومثيلاتها نجد الهداية تأتي دائما لاحقة بعد ممارسة عمل يتعلق بتكليف معين من التكليفات الشرعية. ولنقل إن مفهوم الهداية في هذه الآيات مبني على أساس التزام قبلي، أو على أساس جهد و كدح يمارسه الإنسان كي يتحقق بهذا المعنى. وهذه سنة إلهية تجري على الأنبياء أنفسهم، الأنبياء وهم مؤيدون بالمعجزات، وهم مؤيدون بالآيات الباهرات، ورغم ذلك الله تعالى يأمر موسى بأن يضرب البحر بعصاه وأن يلقي عصاه. وهكذا فالأنبياء، جلهم إن لم يكن كلهم، أمروا بمقدمات أعمال تؤكد على سنة هي مطردة في الخلق، ثم تترتب عليها بعد ذلك المعجزة أو تترتب عليها الهداية التي كتبها الله تعالى للإنسان.

المقصد العام من الهداية والاهتداء، هو عبادة الله تعالى والإخلاص له في هذه العبادة. يهتدي الإنسان إلى الحق كما قال الله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾. وبيان الآيات في الآفاق وفي الأنفس هو هداية للإنسان، فهو عندما ينظر في نفسه وعجائب صنعة الله في هذه النفس، وعندما ينظر إلى آيات الافاق وعجائب صنعة الله في هذه الآفاق، فهذا هداية له من خلال الآيات والعلامات البينات إلى طريق الحق لكي يتعرف على الله سبحانه وتعالى. ونتيجته ذلك كله وخلاصته ومقصده الكبير هو عبادة الله سبحانه وتعالى التي خلق لها الانسان ابتداء، ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾. ولهذا لا يكون مهتديا حق الهداية من لم يتمثل هذا المقصد العام الذي هو التحقق بالعبادة والإخلاص في هذه العبادة. فمقام العبادة شيء، والإخلاص في هذا المقام أو التحقق بقدر منه مستوى آخر تابع له. كيف والأنبياء أنفسهم مأمورون بالإخلاص في العبادة ! وقد ورد في كتاب الله لنبيه الخاتم ﷺ : ﴿قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين﴾(الزمر : 12). وإذا وجب الإخلاص في العبادة لله تعالى على الأنبياء، وهم المؤيدون بالوحي وعليهم نزل، وهم المبلغون للرسالة، فكيف يكون ذلك في غيرهم من الناس!

ثمرة الهداية إذا ومقصدها العام هو أن توصل الإنسان بيانا وإرشادا وسمتا وسلوكا وزعامة وتقدما.. إلى الحق سبحانه، وعندما يتعرف هذا الإنسان على الحق تعالى وتقدس عليه أن يتحقق بالعبادة الواجبة عليه تجاهه، وأن يخلص في هذه العبادة كي تكون عبادة مقبولة. والعبادة التي نتحدث عنها ليست شعائر دينية تعبدية محضا فقط. العبادة هنا هي دائما بمعناها الشامل الواسع، الذي يشمل كل فعل أو قول يأتيه الإنسان أينما كان هذا الإنسان. فهو مسؤول عن أي شيء قاله أو فعله، حيثما كان هذا الإنسان فهو متعبد لله تعالى وعليه في مكانعمله وفي موقع اشتغاله أن يكون مهتديا إلى الحق بالتماس الطريق الصواب التي تهديه إلى الحق.

التكنولوجيا الرقمية وأثرها في تطوير البحث العلمي

د. مصطفى الزكاف

يمثل ظهور التكنولوجيا الرقمية منعطفًا مهمًا في تاريخ بثّ المعرفة والوصول إليها، فبعد أن كان نقل المعرفة وبثها يعتمد على أوعية مادية، مثل: الألواح الطينية والبردي والرَّق والجلد، ثم الورق الذي استخدم في البداية لتسجيل المخطوطات، ثم وعاء الكتاب المطبوع في منتصف القرن الخامس عشر ميلادي، ثم صارت الأمور في ركاب التطور السريع المتلاحق، نتيجة ظهور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات التي غيرت من حياة الناس كثيرا في العقدين الماضيين.

ولا بد أن نلفت النظر هنا إلى أن التجديد التربوي في مجال التكنولوجيا أصبح ضرورة تقتضيها متغيرات العصر الحديثة، للإفادة إلى أقصى حد ممكن من التقنيات الجديدة المتطورة. ولا يتم ذلك بطريقة عفوية بل لابد أن يتم على ضوء البحث العلمي المسخر لخدمة التعليم وعلاج مشكلاته وبطريقة مدروسة متأنية تخاطب جميع الفئات، وتربي جيلا يعرف كيف يستفيد من هذا التطور التكنولوجي الهائل، ويسخره في مصلحته، وينهض به في مجال البحث العلمي، فهو وإن لم يسهم في قطع المراحل في صناعة هذه التكنولوجيا، فعلى الأقل فليحسن الاستفادة منها، لا أن يجعلها وسيلة لتدمير ما بقي فيه من رمق.

أولا: أهمية التكنولوجيا الرقمية في التعليم والبحث العلمي:

التكنولوجيا الرقمية أضحت واقعا ملموسا في مجال البحث العلمي؛ إذ هي الطريق السحري الموصل نحو المعلومات، فلقد أصبح الباحث قادراً بفضل تكنولوجيا الاتصال ورقمنة المعلومات أن يبحر في عباب المكتبات الرقمية الشاملة والبرامج المتخصصة والمواقع الإلكترونية للجامعات ومراكز البحث المتخصصة ليحصل على ما يريد من المعلومات في مجاله. وذلك لما تتيحه هذه التكنولوجيا من إمكانيات هائلة للبحث في البيلوغرافيات، والنصوص وسائر أنواع المدخلات في هذه البرامج، وتوفره من أي مكان في العالم باستمرار، وإمكانية تخزين المعلومات واسترجاعها، بتيسير عجيب.

ويمكن رصد أهميتها في البحث العلمي فيما يلي :

- تمكين الباحث من الوصول إلى محتويات المكتبة ومصادرها في أي وقت يشاء ومن أي مكان يوجد فيه : في منزله أو مكتبه الخاص أو أماكن أخرى خارج مبنى المكتبة ، دون الحاجة للذهاب إلى المكتبة بل إن المكتبة الرقمية تأتي بالمكتبة إليه .
- تيسير مهارات التصنيف والفهرسة للمراجع العلمية.
- تحقيق إمكانية البحث العلمي المؤسسي، بين عدد من الباحثين، إذ يمكن لهم (ولو تباعدوا في أماكنهم) استخدام نفس مصادر المعلومات في المكتبة والبحث فيها في الوقت نفسه.
- تحقيق انجاز المشاريع الكبرى التي تحتاجها الأمة ضرورة لتسريع يقظتها، وتحقق مفهوم الشهادة على الناس، مثل: المعجم التاريخي للغة العربية، الذي يصعب انجازه دون اعتماد الوسيلة الرقمية، التي تتيح خيارات كثيرة لإنجازه.
- إمكانية تحديث المعلومات في المكتبة الرقمية، حيث إنها تحتوي على بعض مصادر المعلومات التي تحتاج إلى تحديث باستمرار كالموسوعات والأدلة وغيرها من المراجع، حيث تُضاف التعديلات الجديدة التي يدخلها الناشر آلياً إلى قاعدة المعلومات في المكتبة.
- تقليل الحجم المحسوس لتخزين المعلومات.
- تقليل التعامل الفعلي مع الأشياء بنفسها كأن تستخدم الكتاب نفسه دائماً ولمرات عدة حتى يبلى.
- تخفيض تكاليف الحصول على المعلومات والمراجع العلمية

لهذه الأمور وغيرها تعد المكتبة الرقمية من التجديدات الحديثة المستخدمة في الدول المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية مثل مكتبة الكونجرس، ومكتبات ستانفورد الرقمية والتابعة لجامعة ستانفورد، ومشروع المكتبة الرقمية التابعة لجامعة كاليفورنيا في بركلي، ومكتبة جامعة كولومبيا التي نفذت عددا من الخطوات أو المبادرات من أجل المكتبة الرقمية. أما بالنسبة للمملكة المتحدة فقد قامت بمشروع مكتبة بيوولف الإلكترونية البريطانية الذي يوفر للباحثين صوراً رقمية للمخطوطات المحفوظة فيها،

والوثائق التاريخية بأصنافها المختلفة، مما أسهم بشكل كبير في الرقي بالبحث العلمي لديهم، والوصول به إلى درجات متقدمة جدا.

ونذكر هنا ما نهضت به تركيا الحديثة من إنشاء مراكز لحوسبة التراث، وتعميم التعليم الرقمي في المدارس والجامعات بواسطة اللوحات الذكية، والأجهزة المتطورة، وقد أنشئ بآخرة مركز المخطوطات والوثائق التي سيجمع جميع المخطوطات والوثائق في تركيا ويوفرها بشكل رقمي للباحثين أينما وجدوا في هذا العالم، وليت باقي الدول الإسلامية تنفذ مثل هذه المشاريع لتنقذ ما لديها من مخطوطات ووثائق التي أصبح كثير منها في ضيافة الأرضة.

ثانيا: واقع التكنولوجيا الرقمية في العالم العربي:

يؤسفني أن نقول: إن الفجوة الرقمية في البحث العلمي بينا وبين العالم الغربي كبيرة جدا، فالزائر العربي للمدارس والجامعات الغربية يقف منبهرا مشدوها بهذا التطور الهائل والاهتمام البالغ في مجال البحث العلمي والرقي به، فحين تدخل مراكز البحث العلمي في الجامعات تجدها وكأنها خلية نحل: حركة دائبة، وتنظيم محكم، وتعاون مستمر، واستثمار لأي جهد، وتقدير لأي طاقة.

فإذا ما قارنا هذا بواقع البحث العلمي في بلاد المسلمين، أُصبنا بخيبة أمل شديدة، فمراكزه أندر من الكبريت الأحمر، وواقعها يضحك الثكلى: خمول ضارب بأطنابه عليها، وموت يدب إلى أجهزتها الساكنة، وباحثوها أعمالهم ثانوية فيها، فمعظمهم يأتي للمركز في الساعات المتأخرة من اليوم بعد أن أنهك في عمله الأصلي، أما واقعها الرقمي فليس بأحسن حالا مما ذكر، فكثيرا ما تجد الأجهزة الحاسوبية معطلة، أو منهكة بألوان الفيروسات التي لم تحم منها ببرامجها المحاربة لها، وأحيانا تستورد بعض الأجهزة المتطورة، فإذا حصل فيها أي خلل تصبح ركاما من حديد في زاوية، لا تجد من يصلحها بله أن يطورها، وهكذا دواليك إلى أن تسأل في حسرة شديدة: هل توجد استراتيجية واضحة المعالم لاستثمار التكنولوجيا الرقمية في مجال البحث العلمي في بلادنا؟

ثالثا : خطوات لتجاوز الوضعية :

ولتجاوز هذه المرحلة لابد من اتخاذ خطوات مهمة تتمثل فيما يلي:

1- تبني مفهوم إدارة المعرفة الرقمية عند القائمين على هذا الأمر.

2 – ضرورة وجود الوعي الكامل بالاتجاهات الرقمية الحديثة ومدى أهميتها، في مختلف التخصصات.

3 – إقامة مراكز بحثية متخصصة رسمية أو حرة يشرف عليها خبراء متخصصون يقومون بدراسة واقع التكنولوجيا في البحث العلمي وسبل تطوير البحث العلمي بها.

4 – وضع استراتيجية واضحة المعالم بذلك والتي تعني: تعبئة وتوجيه الموارد والطاقات البشرية والمادية لتحقيق شامل وأوسع وأفضل وأمثل للأهداف المسطرة والموضوعة من قبل المشرفين على وضع تلك الاستراتيجية.

5 – وجوب تنفيذ تلك الاستراتيجية ورؤية تصورها على أرض الواقع بصورة تجعل البحث العلمي محضرا كل التحضير لمسايرة التطور التكنولوجي، والاستعداد للمراحل الجديدة، والإسهام في نموه ولو بأحرف يسيرة فيه.

6 – ضرورة ترجمة البحوث المتطورة في هذا الباب إلى اللغة العربية وتعريب مصطلحاتها، فالأمة لن تنهض إلا بلسانها الذي اختاره الله تعالى لها، وهو أسرع طريق للتقدم في مجال البحث العلمي وتطويره، ولن تدخل الأمة حلبة التحدي الحضاري، لتأخذ موقع الشهود الحضاري إلا بعد الحسم في قضية التعريب، وإرضاع أبناء الأمة من حليب أمهم العربية الأصيلة.

هذه بعض الرؤى والمقترحات، وما زال حبل الحديث طويلا؛ فلذا أدعو أبناء الأمة المخلصين أن يولوا وجوههم نحو هذه الأمر ويسهموا بجد وإخلاص في إعادة بناء صرح هذه الأمة المجيد، دون يأس أو عجلة، فالفتح آت ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبا. والحمد لله رب العالمين.

انظر كتاب : التكنولوجيا الرقمية، ثورة في نظم الحاسبات والاتصالات تأليف : نيكولاس نيجروبونت ترجمة : سمر شاهين، مركز الأهرام للترجمة والنشر ص : 211 وبعدها.

الكلية المتعددة التخصصات بالراشيدية :

يوم دراسي عن الجامع التاريخي لبيان القرآن الكريم

نظم فريق البحث في التراث الشرعي والفكري لسجلماسة وتافيلالت وامتداداته بالغرب الإسلامي، بالتعاون مع مؤسسة البحوث والدراسات العلمية – مبدع – فاس، يومه الأحد 09 مارس 2014 الموافق ل 07 جمادى الأولى 1435 بالكلية المتعددة التخصصات بالرشيدية يوما دراسيا في موضوع:

الجامع التاريخي لبيان القرآن الكريم

افتتح اللقاء بآيات من الذكر الحكيم تلاها الدكتور إدريس مولودي، بعدها مباشرة رحب المسير الدكتور عبد الكبير حميدي بالحضور الكرام واعتذر لهم عن غياب الدكتور الشاهد البوشيخي الأمين العام لمؤسسة الدراسات والبحوث العلمية.

وفي كلمته عبر الدكتور محمد بن عبد الرحمن الحفظاوي رئيس فريق البحث المذكور أعلاه عن سعادته لاحتضان هذا اليوم الدراسي بالكلية المتعددة التخصصات بالرشيدية، خاصة في مشروع يتعلق بالقرآن الكريم، مذكرا بأهمية هذا المشروع وكونه صدقة جارية إلى يوم القيامة.

بعد هذا أعطيت الكلمة للدكتور مصطفى فوضيل المدير التنفيذي لمؤسسة مبدع، والذي أكد في بداية كلمته على سروره بوجوده مع هذا النخبة من الباحثين، كما اعتذر لغياب الأمين العام المشرف على مشروع الجامع التاريخي لبيان القرآن الكريم لأسباب صحية، ثم ذكر الأستاذ بعناصر كلمته والمتعلقة أساسا بتعريف المشروع ومراحله ومصادره وضوابط استخلاص البيان ومنهجية الاشتغال.

على مستوى التعريف بيّن أن بيان القرآن الكريم هو القصد الأسمى لرسالة النبي عليه الصلاة والسلام انطلاقا من قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وأن هذا المشروع ذو طَبيعة حاسوبية محضة، وهو مرتب ترتيبا تاريخيا لأزيد من ستين تفسيرا، وأن عمل الباحث يقتصر على ما يخدم البيان دون زيادة أو نقصان، مع حذف كل ما لا حاجة إليه في بيان مراد الله تعالى من كلامه، ودون تصرف في كلام المفسرين. فالتاريخ هو أهم ما يميز هذ المشروع الذي لا يلغي التفاسير الأخرى.

أما مراحل المشروع فبدأت بإعداد الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم، وهي مرحلة تمت ولله الحمد، والمرحلة الأولى هي ما نحن بصدده من إعداد بيان كل آية في سياقه التاريخي ثم كل سورة وفي الأخير تجميع العمل الناظم لبيان القرآن كله.

أما مصدر المشروع فهو: الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم وقد وزع على الحضور الكرام في قرصين مع قرص آخر يتضمن الحزب المطلوب الاشتغال عليه، وورقة تعريفية بالمشروع والمتضمنة لضوابط استخلاص البيان.

وبعد صلاة العصر فتح المجال لتعقيبات واستفسارات المشاركين والتي أجاب عنها الدكتور مصطفى فوضيل، كما أوضح الجوانب التقنية لتنزيل المشروع على الحاسوب وكذا طريقة التعامل بخطوات إجرائية استوعبها الجميع.

وفي الأخير ختم اليوم الدراسي بآيات بينات من الذكر الحكيم وبالدعاء، ووزعت شهادات المشاركة على المشاركين.

إعداد: د. لخلافة متوكل
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين

أوراق شاهدة

آن سوفي من «نسوانية» إلى ربانيـــة

قال سبحانه : ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ إنها المناسبة التي انطلقت من الوعد للمؤمنين بمكة بالنصرة والعصمة من لدن الله عز وجل ضد تحرشات المشركين ، وتمتد إلى كل زمان ومكان يتصادم فيه الحق والباطل، كان بعلمه وهو خالق القلوب ومقلبها ويعلم ما كان ويكون فيها ، يبشر المؤمنين وهم في أتون عاصفة التدافع وفي مهب إعصار الكيد لهذا الدين وأهله بأن بنيان الريبة سيسقط على مشيديه لا محالة، ويكون إنفاقهم بالتالي حسرة في قلوبهم .

ويبدو اللحظة فضاء الفتنة الكبرى هاته التي طالت العالم العربي وشتتت شمل بنيه أشبه بلوحة الهزيع الأخير من الليل الذي تشتد حلكته وسرعان ما تبدأ معالم ولوج النهار في الليل، بانفراج السواد عن نور خافت يشق العتمة الداجية، ويواصل التمدد في غياهبها حتى يأذن الله تعالى بالانبلاج للنهار، وتشرق الشمس بإذن ربها، وأنها ينمحي من ذاكرة الإنسان تماما شبح الظلمات، وتردد أنفاسه الممتنة للواحد الأحد : سبحان الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور، ويعم الضياء والنور أرجاء الأرض وتنبجس الحياة من رحم الموت في تفتح الزهور وزقزقة العصافير ودبيب كل المخلوقات وسعيها في مناكب الأرض إيذانا بالبعث والميلاد.

وهكذا هو الإسلام، وهكذا هو سراج نوره القرآن الكريم الذي وعد المولى بحفظه.

وإن توالي تصريحات أكبر نجوم المجتمع الغربي باختلاف أطيافه المبجلة لهذا الدين مع اعتناقهم للإسلام، وبسط وافر إعجابهم به ليشبه هذا النور المنفلت من لجة الظلام.

لقد تكفل المولى بهذا الحفظ كما أسلفنا، مهما توالت الانكسارات والخطوب . وقد شهد القرن الماضي وبداية الألفية الثالثة أزمات مهولة المآلات على أمن واستقرار المسلمين، رافقتها برحمة من المولى موجة اعتناق غربيين من كل الأصناف والفئات للإسلام .

وكما فصلنا في حلقات ماضية معالم هذا الانقلاب الى الحق ، من لدن أفراد غربيين مرموقين نتوقف في حلقة اليوم عند شخصية نسائية وازنة بعلمها وبغيرتها على الإسلام ، ويتعلق الأمر بالسيدة آن سوفي، هذه المرأة السويدية التي امتهنت التاريخ علما وحرفة، والدفاع عن قضايا المسلمين بصفة عامة والأقلية المسلمة في السويد تحديدا، مجالا وجدانيا أعطته نسغ محبتها لتبرع فيه، وتمتلك فيه ناصية الدفاع الشرس عن كبرى القضايا التي تطرح في الدوائر الغربية ونعني منها المغرضة للنيل من تماسك وعظمة الديانة الإسلامية ، خاصة في القضايا التي تمس معالم شخصية المرأة المسلمة من حجاب وتعدد وزواج وإرث إلخ ..

والمثير في دفاع آن سوفي عن هذه القضايا هو أنّ سوفي التي افتتحت سكة تدينها بالمسيحية وعاشت تفتح مشاعرها الروحية في بيت مسيحي ملتزم ، كما سخرت زادها المعرفي للدفاع عن قضايا تحرير المرأة الغربية في محضن ولادتها، ستنجذب بشكل مذهل إلى الإسلام وهي تختار التخصص في مجال التاريخ الديني أستاذة محاضرة في علم الديانات وكاتبة مقالات وكتب واسعة الانتشار في رصد القضايا الخاصة بالمسلمين وإبراز قوة برهانها وفلاح سراطها.

ليزيل الله سبحانه عنها غشاوة الأباطيل الغربية حول الإسلام وتحديدا حول الإسلام وستنبري لردم الهوة بين الغربيين المنصفين وهذا الدين وتسهم بدورها في الحرب على الإرهاب الغربي ضد المسلمين.

وهي بلا شك كمناضلة نسائية لها رصيدها من الثقافة النسائية الثورية في سوانحها التحررية حد التطرف كان يجب أن تكون في صف المهللين لعظمة الرصيد الحركي التحرري النسائي الغربي، لكننا نجدها تنتقل إلى ضفة الانتصار للرؤية الإسلامية بخصوص المرأة .

وإذا علمنا أن السيدة سوفي أكاديمية مبرزة وراسخة القدم في علوم التاريخ والعلوم الأخرى الرديفة ومن عصارتها قالت ربي الله والإسلام ديني أيقننا بأن الوعد الرباني لا يتخلف وأن وعد استخلاف مشروع المحبة والرحمة والخير للجميع وعد غير مكذوب تقول آن سوفي في أحد حواراتها «على الإنسان أن يتحرك نحو الله لأن الله لا يكره الناس على الإيمان به».

وهي القناعة التي استمدتها بكل تأكيد من الإسلام قال تعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾.

آن سوفي تشبه مؤمن آل فرعون وهي لا تكتم إيمانها بل هي في إنتاج وإبداع مستمر لكتابات متخصصة تحمي بها وجود المسلمين في الغرب ..

وفي كل زمان ومكان يوجد من يجلجل بالحجر والتضييق على هذا الدين كما يوجد من يفديه بروحه لصونه والذب عنه ..

والشيء بالشيء يذكر فقد سمعت بالصدفة في قناة غربية موجهة للمسلمين من يدافع من المسلمين عن حظر الحجاب بالدولة الفرنسية، بل قيل إن الحجاب عادة وليس بفرض، وتذكرت النساء الغربيات من مختلف الأجناس وهن يرتعن في بلداننا عاريات بشواطئ مغربية أو بملابس أشبه بملابس قراصنة الأدغال القدامى، ونحن نمنحهم كل الود المشفوع بالكسكس والشاي الساخن ..

وذكرت سوفي وأخواتها من المنتصرات للمسلمين في محيطات الحكرة هذه وذكرت قول الله عز وجل: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾ (الطلاق : 3).

فتوارت غربتي ..إلى حين.

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

ومضـــة

لـماذا...؟!

يتثاءب.. يقاوم النوم.. ينام على الطاولة.. لم يعد يثير استغراب الأستاذة.. كلما دخل الفصل في الثامنة صباحا ينام فهو دائما حاضر نائم أو متغيب ..

طرده الحارس العام من القسم، وقال له بلهجة حازمة:

– تتغيب كثيرا.. لن أسمح لك بالدخول إلا بعد إحضار أبيك أو أمك...!

نظر إليه التلميذ منكسرا وخرج... تواصل الأستاذة شرح الدرس.. يستفزها صديقه يمسح دموعه بخفة...

انتهت الحصة .. توجهت نحو صديقه.. سألته عن صديقه « النّعّاس» . كما يلقبه زملاؤه . أشاح عنها بوجهه وهو يقاوم دمعه.. ألحت عليه أن يخبرها عنه.. قال مترددا:

– صديقي يعمل ليلا ولا ينام إلا بعد الفجر..

سألتْه:

– وماذا يعمل؟!

سكت طويلا .. ثم قال:

– إنه يتيم الأبوين.. يعيش مع عمه.. لكن بشرط...

– أي شرط؟

– يعمل مع عمه ليلا...

– أعرف.. وماذا يعمل؟

– يبيع الخمر؟

شهقت الأستاذة:

– مع عمه؟!

– لا، بل وحده.. عمه يعمل بعيدا عن البيت...

–. ألا يؤذيه السكارى؟!

ضحك بمرارة:

– لا.. إنه يدلي إليهم بسطل من الطابق العلوي.. يضعون فيه النقود، فيرفعه ويضع لهم فيه الخمر ...

– وهل يقبل بهذا العمل مع عمه؟!

– يا أستاذة، قلت لك إن عمه يشترط عليه ذلك مقابل إيوائه والنفقة عليه...!

ذة. نبيلة عزوزي

كيف تكتسب مهارة القراءة السريعة ؟

1 – أكثر من القراءة مع محاولة السرعة في القراءة والحرص على الفهم العام للنص.

2 – اجعل بدايتك في الكتب السهلة ثم تدرج في الصعوبة.

3 – لا تتلفظ بالكلمات سواء بظهور صوت أو حتى بتحريك الشفاه بل اقرأ بعينيك.

4 – اقرأ الكلمات كصور تتخيل معناها وشكلها. يقول أحد المؤلفين: «عندما تجتمع القراءة والتصور تصبح السرعة والإدراك أعلى»

5 – وسع مدار عينيك في قراءة كلمات عدة في السطر واجعل حركة عينيك سريعة بين الكلمات.

6 – انتقل من سطر لسطر، ومن صفحة لأخرى بسرعة، وذلك لسرعة الارتباط واختصار الوقت.

7 – لا تقرأ ما في الحاشية (الهوامش)، في حالة تدربك على السرعة فقط.

8 – لا ترجع لما سبق حتى لو لم تفهمه فقد يعيده الكاتب لأهميته، أو أنه ليست له فائدة مهمة كونه رابطاً بين الكلام أو كلاماً زائداً، ولو كان غير ذلك فلا بأس لأنك في تمرين تسريع قراءتك.

9 – في بداياتك للقراءة السريعة ستعاني من قلة الفهم، فلا تقلق بشأن عدم الفهم، لأنه شعور مؤقت سيزول مع تدربك وتعودك على هذا الأسلوب إن شاء الله تعالى.

10 – أحياناً يرد عليك موضوع تعرفه أو قصة تعرفها في هذه الحال بإمكانك تجاهل قراءتها اختصاراً للوقت.

11 – عند تدربك على القراءة السريعة اقرأ في المقالات التي كتبت على شكل أعمدة كالتي في الجرائد؛ لأن سرعة انتقالك بين الأسطر القصيرة والأعمدة الصغيرة تساعدك على القراءة السريعة للنص.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....
العنوان الكامل :.....
.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغـــرب : 60 درهم
■ خارج المغـــرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية
● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس) رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة
حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات، فاس – المغرب

حماة القرآن

عبد الرحمان العشماوي

وقفت حروفي عند باب نشيدي
والريشة الخضراء تهتف في يدي
هيا اركضي عبر السطور وغسلي
هيا اكتبي إن الحروف مشوقة
هذي ينابيع الكتاب تدفقت
يا ريشة القلم الأصيل تدفقي
قولي معي للقارئ الفذ الذي
يتلو فيفتح ألف باب للتقى
يا قارئ القرآن داو قلوبنا
اقرأ فأمتنا ترقع ثوبها
اقرأ فأمتنا تعيش على الربا
اقرأ لينجليَ الظلام عن الرُّبا
اقرأ لينجليَ القتام عن الذي
اقرأ ليرجع من بني الإسلام من
اقرأ لعل الله يوقظ غافلا
اقرأ ليرجع ظالم عن ظلمه
اقرأ ليسكت مطرب مترنح
ذبحوا مشاعرنا بكل قصيدة
إبليس باركَهم وسار أمامهم
اقرأ ليهدأ قلبُ كل مروّع
اقرأ ليسمع كلُّ من في سمعه
اقرأ لتفهم أمتي معنى الهدى،
اقرأ ليخرج جيلنا الحر الذي
بالدين بالقرآن لا بثقافة
يا قارئ القرآن إن قلوبَنا
شنِّف مسامعنا بآيات الهدى
وأقِم من الإخلاص قصرا شامخا
كم قارئٍ في الناس يُحمد ذكره
كم فارسٍ في الحرب نال شهادةً
كم عالمٍ في الناس سدد رأيه،
يا قارئَ القرآن لا تركن إلى
قل للذين تنكَّبوا درب الهدى
قل للطغاة ومن مشى في ركبهم
إن الذي منع الحرام هو الذي
هذا هو القرآن دستورُ الهدى
قرآننا ستر النجاة لنا بما
أفتؤمنون ببعضه، وببعضه
والشوق يركض في مجال وريدي
هيا ابدأي يا ريشتي وأعيدي
بالحب وجه خيالي الموؤود
هيا اشربي من منبع التوحيد
تجري بنور في الحياة جديد
نهرا من الشعر الأصيل وزيدي
يتلو فيشعرني بعز وجودي
ويكف عن نفسي أشد قيودي
بتلاوة تزدان بالتجويد
بالوهم تخفض رأسها ليهودي
تنسى عقاب الخالق المعبود
وليسمع الغافي زواجر هود
أمسى أسير تخاذل وخضود
أصغى مسامعه إلى التلمود
من قومنا ويُلين قلب عنيد
ويقر بالإيمان كلُّ جحود
قتل الحياء على رنين العود
مسكونة بخيال كل بليد
متباهيا بلوائه المعقود
من قومنا وفؤادُ كل شريد
وقرٌ من الأقصى إلى مدْريد
معنى بلوغ مقامها المحمود
يبني جوانب صرحنا المعهود
غربية أو مبدأ مردود
عطشى إلى حوض الهدى المورود
وافتح منافذ دربنا المسدود
يُدني إلى عينيك كل بعيد
ويكونُ عند الله غير حميد
ويكون عند الله غير شهيد
ويكون عند الله غير سديد
مدح العباد ومنطق التمجيد
جهرا ولم يستمسكوا بعهود
من طامع ومنافق ومريد
شرع الحلال لنا وكلَّ مفيد
فيه الصلاح لطارف وتليد
يحويه من وعد لنا ووعيد؟
تتهاونون، أذاك فعل رشيد؟

شرح الأربعين الأدبية [32]

في فرية الهجاء وتوسيع دائرته

د. الحسين زروق

روى ابن ماجة «عن عائشة قالت: قال رسول الله : «إن أعظم الناس فرية لرجل هاجى رجلا فهجا القبيلة بأسرها، ورجل انتفى من أبيه وزَنَى أمّه»(1).

هذا حديث آخر من أحاديث غرض الهجاء، ومقارنته بالأحاديث الأخرى المرتبطة بهذا الغرض تفيد أمرين:

أولهما أن الأحاديث السابقة موضوعها هجاء المشركين، فالهجاء فيها متجه نحو الجبهة الخارجة حيث العدو، وقد رخص الرسول ﷺ فيه، ولاسيما بعد أن هجا المشركون المسلمين وآذوهم.

والأمر الثاني هو أن حديث الباب يتفق مع تلك الأحاديث في كونِ غرضه الهجاء، لكنه يختلف عنها في كون موضوعه هو هجاء المسلمين، أي الهجاء الذي صرفه أصحابه نحو الجبهة الداخلية.

وقد يتبادر إلى الذهن أنه لا موجب لقصر دلالة الهجاء في حديث الباب على المسلمين، وأنها عامة تشملهم وتشمل غيرهم، وهذا ما يردّه واقع الهجاء في زمن النبي ﷺ، ولاسيما منهج حسان بن ثابت في هجاء المشركين، وقد روى ابن عبد البر عن ابن سيرين أنه «كان حسان وكعب بن مالك يعارضانهم في قولهم في الوقائع، والأيام، والمآثر، ويذكران مثالبهم، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر»(2)، فإذن لا معنى لحمل الحديث على أن أعظم الناس فرية من هجا المشركين من المسلمين.

وإذا كان الأمر كذلك، تبين أن مجال حديث الباب هو حماية الجبهة الداخلية، ومنع توسيع دائرة الخصومة بين المسلمين.

وحديث الباب من ثلاثة أقسام: أولها لمن «هاجى رجلا فهجا القبيلة بأسرها»، وثانيها لمن انتفى من أبيه، وثالثها لمن زنى أمه.

وإذا كان القسم الأول صريحا في الشعر وغرض الهجاء، فإن القسمين الآخرين لا علاقة لهما بغرضنا من هذا الشرح إلا مِن حيث كونهما قد يقعان في الشعر، أو بسببه، وهو ما يفيده السياق الجامع لذلك كله، فيكون معناهما أن من انتفى من أبيه وزنى أمه في شعر وغيره فهو من أعظم الناس فرية، وحسبنا هذا هنا، ولذلك فالقسم الأول هو محل الشاهد عندنا لصراحته في الموضوع.

وفي هذا القسم ثلاثة أمور:

أولها يُفهم من قوله : «لرجل هاجى رجلا»، وفي رواية الإمام البخاري في الأدب المفرد «إنسان شاعر يهجو القبيلة من أسرها»(3).

فرواية ابن ماجة صريحة في أن الأمر يتعلق بمهاجاة، وظاهر الرواية الأخرى وإن كان لا يُفيد ذلك، إلا أن سياقها يَسمح بفهمه، ومعنى ذلك أننا أمام تهاج بين شاعرين، وأن أحدهما يهجو الآخر.

والأمر الثاني يُفهم من قوله: «فهجا القبيلة بأسرها»، وذلك بأن لا يقتصر الهجاء بين الرجلين المتهاجيين عليهما؛ بل يتعداهما إلى قبيلتيهما، فتتسع دائرة الهجاء، ويصير الأمر هجاء بين القبائل بعد أن كانت بين الأفراد.

والأمر الثالث يُفهم من قوله: «إن أعظم الناس فرية» وفي الرواية الأخرى «جرما»(4)، ففيه أن هذا الذي يوسع دائرة الهجاء لتنتقل من خصمه الذي يهاجيه إلى قبيلة الخصم أعظم الناس فرية وجرما.

وظاهر من كلام النبي ﷺ أنه يُريد أن يقلص مجال الخصومة، ويمنعه مِن أن يتسع فينتقل من الأفراد إلى القبائل؛ لأن اتساع دائرته يهدد الأمة كلها.

على أنه ينبغي أن لا يُفهم من حديث الباب من النتيجة التي وصلنا إليها أن الرسول ﷺ يُرخص في هجاء الأفراد ويسمح به، ذلك أن النبي ﷺ عاب تعميم الخصوصة باستعمال اسم التفضيل: «أعظم»، وهذا يفيد أن المسلمين الذين يهجون إخوانهم نوعان على الأقل:

نوع هو شرّهم، وهو من هجا القبيلة بأسرها، وهو الذي عُبر عنه بلفظ «أعظم».

ونوع لا يخلو من شر، وشره عظيم، ولكنه أقل من شر النوع الأول، وهو من هجا مسلما ولم يُعمم.

وبناء على ذلك فهجاء المسلمين شر، والشرّ شرّان: عظيم، وأعظم منه، والأول ضرره على الأفراد، أما الثاني فضرره على الأمة كلها، فمن ثم بيّن النبي ﷺ قبحه، وسكت عن الثاني لسببين:

أولهما أنه يُفهم من الحديث.

والثاني لأن الحديث عنه يَرد مرات في مناسبات عدة، ويندرج غالبا ضمن أحاديث آداب اللسان، وفيها كفاية، وحسبنا منها قوله : «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»(5)، وقوله: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء»(6).

---

(1) – صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم 3828/3044، ك.الأدب، ب. ما كره من الشعر.
قال الألباني معلقا عليه: «صحيح»، كما أورده في الصحيحة أيضا(ح.ر 763 و1487).

(2) – الاستيعاب، ص: 165.

(3) – صحيح الأدب المفرد، حديث رقم 874/670.

(4) – صحيح الأدب المفرد، حديث رقم 874/670.

(5) – صحيح البخاري، 31/1، حديث رقم 48، ك. الإيمان، ب. خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

(6) – صحيح سنن الترمذي، 370/2، حديث رقم 1977، ك. البر، ب. ما جاء في اللعنة.
وللمزيد من ذلك ينظر كتاب «الصمت وآداب اللسان» لابن أبي الدنيا.

اللغة العربية لغة القرآن: مباني ومعاني

د. الحسين كَنوان

مناقشة الشطر الثاني من العنوان أعلاه : مباني...

البنية لغة : بناء على كل ما سبق من توضيح لمعاني الشطر الأول من هذا العنوان، حيث استشهدنا بآيات من القرآن الكريم في الموضوع، وناقشنا دلالاتها انطلاقا مما تتضمنه كل واحدة منها من قواعد التصريف والنحو، نشرع بإذن الله تعالى في مناقشة الشطر الثاني الذي هو «مباني ومعاني» تنفيذا لما واعدنا به في الحلقة الأولى : المحجة 383، وسنستخصر كل القواعد التي استشهدنا بها في الشطر الأول : مفردة أو مركبة لمحاولة ربطها بدلالات مكونات الشطر الثاني، الذي هو «المبنى والمعنى» ثم نقارن النتيجة مع دلالة مصطلح البنية كما هو معروف عند علماء التصريف، أو في معاجم المصطلحات بصفة عامة، نفعل هذا بإذن الله تعالى، ونحن نعلم مسبقا أن تعريف البنية اصطلاحا لا يشمل كل مكونات الكلام من حروف المباني أو المعاني، وغيرها من الأسماء والأفعال والصفات والجمل بأشكال تراكيبها الأصلية والفرعية مما يمكن أن يدخل ضمن الدلالة اللغوية للمصطلح المشتق من دلالات الباء والنون وما يثلثهما من ياء أو واو، كما سنرى.

وقصدنا من هذه الإشارة هو التنبيه إلى أن كل مكونات الخطاب لها وظائف دلالية ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار أثناء محاولة فهم خطاب ما باللغة العربية أو نقده أو تحليله، هذا عن النصوص المكتوبة باللغة العربية السليمة بصفة عامة، ثم النصوص الشرعية بصفة خاصة، وفي مقدمتها القرآن الكريم وحديث سيد المرسلين. والذي يبدو أن هذا موضوع يحتاج إلى بحث خاص، وعليه نؤجل الكلام عنه إلى فرصة ومجال يناسبانه. لنعود إلى ما نحن بصدد شرحه مما يمهد للموضوع الذي عدلنا عنه مؤقتا. وهو توضيح دلالة كلمة «مباني» كما وردت في العنوان أعلاه، وعليه نقول وبالله التوفيق : كل من كلمتي مباني ومعاني وردت بصيغة جمع التكسير، فمفرد مباني هو «مبنى» كما أن مفرد معاني هو «معنى». والذي يعنينا من بين الكلمتين في هذا السياق في الدرجة الأولى هو كلمة «مبنى» التي يترتب عنها المعنى بالضرورة وهي أن كلمة «مبنى» مصدر ميمى على وزن مَفْعَل أي أنه مصدر زيدت الميم في أوله، وفي توضيح هذه القاعدة يقول المبرد : «اعلم أن المصادر تلحقها الميم في أولها زائدة. لأن المصدر مفعول، فإذا كان كذلك جرى مجرى المصدر الذي لا ميم فيه في الإعمال وغيره، وذلك قولك : ضربته مَضرِبا أي ضربا. وغزوته غزوا ومغزى، وشتمته شتما ومشتما» (المقتضب 119/2).

ويبدو أن المصدر الميمى أقوى دلالة من الذي لا تزاد الميم في أوله : وفي هذا السياق يقول عباس حسن : «يصاغ من المصدر الأصلي للفعل الثلاثي وغير الثلاثي صيغة قياسية تلازم الإفراد والتذكير، وتؤدي ما يؤديه هذا المصدر الأصلي من الدلالة على المعنى المجرد.. لكنها تفوقه في قوة الدلالة وتأكيدها، وتسمى هذه الصيغة المصدر الميمي...(ن الوافي 231/3).

هذه دلالة هذه الكلمة : «مباني. كما جاءت بصيغة الجمع في العنوان أعلاه. أما أصلها المعجمي فيحتمل شكلين اثنين : أولهما «بَنَا» بألف ممدودة في آخره، وثانيهما «بنى» بألف مقصورة في آخره. وهذا يعني أن حرف العلة في آخر مثل هذا النوع من الكلمات قد يكون واوا، أو ياء ولكل نوع دلالته الخاصة يقول ابن منظور بالنسبة للنوع الأول : «بنا» «بنا في الشرف يَبْنُو. وعلى هذا تؤول قول الحطيئة : أولئك قوم إن بَنَوْا أحسنوا البُنا» بضم الباء.

أما النوع الثاني : «بنى» فيمثل له بقوله « وبنى فلان على أهله بناء...»(ل ع 89/14و1 و97 ع 2 مادة بنى).

وهذا يعني أن شكل كتابة حرف العلة « ب . ن . ى أو ا» في آخر الكلمة من هذا النوع قيمة خلافية، أي أنه ينوع المعنى لأننا نلاحظ أن المعنى المترتب عن (ب . ن . ا) غير المعنى المترتب عن (ب . ن . ى). إذ الملاحظ أن لكل نوع مجاله الذي تنمو فيه معانيه وتتفرع بناء على السياق الاجتماعي الذي يرد فيه، أو حسب تنوع صيغ المشتقات التي تتفرع عنه بزيادة حرف على حروفها الثلاثة الأصلية أو تغيير شكلها بتنويع حركة حرف من حروفها.

ولهذا الذي أشرنا إليه من المعاني الفرعية أمثلة كثيرة في المعاجم مثل لسان العرب 14 مادة بنى. والذي يعنينا من بين الأصلين المشار إليهما أعلاه «ب . ن . ى أو ا» هو النوع الأول «ب . ن . ى» لأنه أصل لكلمة البنية التي نحن بصدد تعريفها لغة واصطلاحا : فما هي البنية لغة؟ وما هو الأصل الذي اشتقت منه؟ وما هي دلالاته الفرعية التي يعتبر معنى البنية واحدا منها؟!.

البنية من بنى يبني يقول ابن منظور : «ابن الأعرابي : البِنى : (بكسر الباء) : الأبنية من المدر أو الصوف، وكذلك البِنى (بكسر الباء أيضا) من الكَرَم، وانشد بيتَ الحطيئة :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البِنى

وقال غيره (أي غير ابن الأعرابي) : يقال بِنْية، وهي مثل رِشوة ورِشا كأن البنية الهيئة التي بني عليها مثلَ المشية والرِّكبة. وبنى فلان بيتا بناء.. وابتنى دارا وبنى بمعنى.. الجوهري : والبُنى (جمع بنية) بالضم مقصور مثل البِنى. يقال بُنية وبُنى (بضم الباء) وبنية وبِنىَ بكسر الباء مقصور، مثل جزية وجزى، وفلان صحيح البِنية أي الفِطرة..» ل ع 94/14ع 1-2

هكذا يتضح من الأمثلة أعلاه أن مادة بنى وحدة أساس لبناء كيان حسي مشاهد بالعين المجردة كالدار والبيت، أو المعنوي كالفطرة، ومن موادها في المحسوسات : المدر والصوف. أما في المعنويات فالأفكار والقيم. وفيما يوضح اتحاد الدلالتين : المعنوية والحسية في الأصل الذي هو فعل بَنَى. يقول ابن منظور : والبِنية (بكسر الباء) والبُنية (بضمها) : ما بنيتَه، وهو البِنى (بكسر الباء) والبُنى (بضمها) وانشد الفارسي عن أبي الحسن:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البُنى(بضم الباء)

وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا اشدُّوا

وروي : أحسنوا البِنى (بكسر الباء)... وقد تكون البناية في الشَّرف والفعل كالفعل. قال يزيد بن الحكم:

والناس مبتنيان : محسود البِناية أو ذميم

وقال لبيد :

فبنى لنا بيتا رفيعا سمكه

فسما إليه كهلها وغُلامها

(ل ع 94/14 ع 1)

هكذا تتضح القيمة الدلالة اللغوية لكلمة (ب ن ى) التي هي أصل البنية. وهكذا تدل كلمة بنية على هيئة خاصة كمشية ورشوة، وهي دلالة زائدة على معنى الأصل إذ أن الهيئة تستوجب ذوقا معينا حسيا كان أو معنويا. ولذا توزعت دلالات فروع هذه المادة على عدد من مجالات حياة الانسان (فا) البنى نقيض الهدم، والبناء المبني والجمع أبنية، وأبنيات جمع الجمع، والبَنَّاء مُدَبر البُنْيان وصانعه، والبِنية، والبُنية ما بنيته، ويقولون بنى الرجل بامرأته إذا دخل بها، والبناء لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا.

والبَنِيَّة على فَعيلة : الكعبة لشرفها إذ هي أشرف مبنى يقال : لا ورب هذه البَنيَّة ما كان كذا وكذا، وبنى لحمَ فلانٍ طعامُهَ إذا سمَّنه وعظمه، وتبنى السنام سَمِق، والمَبْناة والمِبناة : كهيئة الستر والنَّطع، والبانية من القسي: التي لصق وترها بكبدها حتى كاد ينقطع وترها في بطنها من لصوقه بها. وهو عيب، والبَواني : قوائم الناقة.

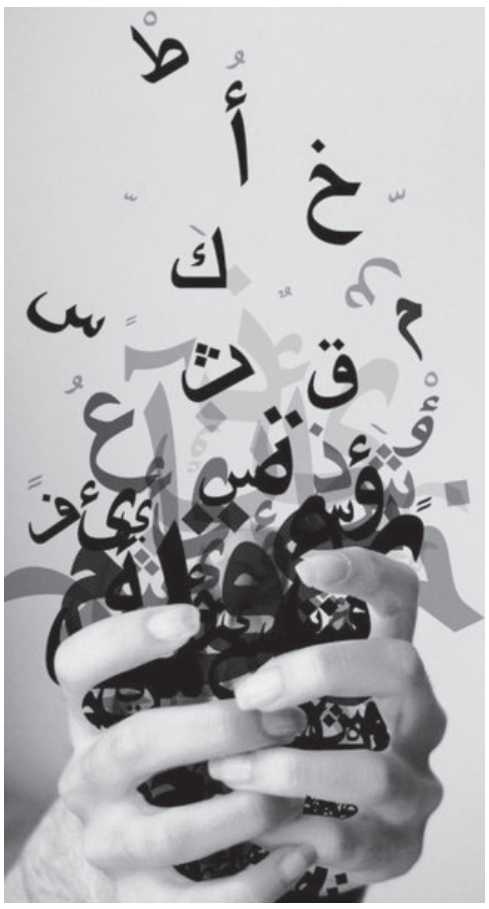

(يقال) والقى بوانيه : أقام بالمكان واطمأن والباني : العروس الذي يبني على أهله. (ويقال) القت السماء بَرْك بوانيها يريد ما فيها من المطر. قال ابن الأثير : والبواني في الأصل : أضلاع الصدر، وقيل : الأكتاف والقوائم الواحدة بانية. وفي حديث خالد : فلما القى الشام بوانيه عزلني واستعمل غيري، أي خَيْره وما فيه من السعة. قال الشيخ أبو محمد بن بري : وجارية بنَاة اللحم أي مبنية اللحم قال الشاعر :

سبتْه معْصر من حضر موت

بَناة اللحم جما : العظم.

قال : بَناة اللحم في هذا البيت بمعنى طيبة الريح أي طيبة رائحة اللحم. وقوله في الحديث : من بِنى في ديار العجم ويعمل نيروزَهُمْ ومَهرجانَهم حشر معهم، وبنى هنا بمعنى أقام. ل ع 14 مادة بنى

هكذا تتعدد مجالات استعمال مشتقات مادة بنى وتتنوع ولا شك أن بينها رابطة أخوية يثبتها الأصل الذي اشتقت كلها منه والدليل على ذلك هو وجود الباء والنون في كل منها وهذا ما يوجب استحضار دلالاتها في مجالاتها بنسبة : أثناء تأمل دلالة بِنْية. لأنها واحدة من ذلك المجال العام لدلالة (ب + ن). اقتصرنا في هذه الملاحظة على الحرفين الأولين فقط لكلمة بنى لسببين : أولهما ورود الحرفين في كل المشتقات التي ذكرناها أعلاه. وثانيهما أن الحرفين الأولين هما المؤسساة لدلالة الأفعال الثلاثية أو أغلبها بدليل أن هذه الكلمة التي نناقشها (بنى) تحتمل أصلين معجميين إذا ما أخذنا بعين الاعتبار تغيير الحرف الأخير (ب . ن . ى أوا) فيكون الفعل بنى يبني على وزن فَعَل يفعِل بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع أو بَنَا يَبْنُو على وزن فَعَل يفعُل بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع فالمثال الأول من باب ضَرب يضرب، والثاني من باب نصر ينصُر. ولكل بَاب مجاله. وعليه ينبغي التنبيه إلى أن بنى بألف مقصورة غير بنا بألف ممدودة، نقول هذا حتى لا يتم الخلط بين دلالة الكلمتين يقول ابن فارس «بنى : الباء والنون والياء أصل واحد، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض، تقول بنيت البناء أبنية..»

ويقول : «بنى : الباء والنون والواو كلمة واحدة وهو الشيء يتولد عن الشيء كابن الانسان وغيره. وأصل بنائه بنى والنسبة إليه بنوى...» معجم مقاييس اللغة 302/1-303. باب الباء والنون وما يثلثهما في الثلاثى.

هذه هي دلالة البنية لغة، وذلك أصلها وعلاقاتها بما تفرع عن الأصل نفسه. فما هي البنية اصطلاحا، وهل لها علاقة بمعنى ما من المعاني اللغوية العامة أي المتفرعة عن الأصل نفسه أو الخاصة وهو ما تم وصف كلمة بنية به دون غيرها.

المراجع :
- المقتضب للمبرد
- النحو الواقي لعباس حسن
- لسان العرب لابن منظور
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس.

د. عبد المجيد بنمسعود

خروق في سفينة المجتمع

42 - زخرف القول

المدار في صلاح سفينة المجتمع -على مستوى القول - في صلاح هذا القول بحيث يكون صادقا معبرا عن الحقائق التي يشكل وعي الناس بها مقدمة سليمة وشرطا أساسا للفعل الصحيح، أو العمل الصالح، بحيث يكون القول بهذه المثابة، من جهة ترجمانا لما يحمله الفكر من مفاهيم وقيم وتصورات عن الوجود بشتى مناحيه وتجلياته، ويكون من جهة أخرى حافزا ومهمازا يحث على الانتقال إلى مستوى العمل الذي تكتمل به مصداقية الإنسان التي لن تتحقق إلا بالتلازم بين القول والعمل، شريطة أن يكون كلاهما داخل دائرة الحق والصواب. أما في حالة الفصام بين القول والعمل، فإن من يكون عرضة لهذا الوضع النكد يؤول لا محالة إلى حالة المقت الذي توعد به الله عز وجل كل من سقط في مغبته، وذلك في قوله تعالى: ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

هذا مستوى من مستويات حركة الإنسان في منظور الإسلام، يتبلور في الموازنة والتطابق والانسجام بين ما يصدر منه من أقوال، وبين ما يجترحه من تصرفات وأفعال، بما يستتبع من قيام حركة العمران البشري على أساس راسخ من الحق المبين.

أما المستوى الآخر من مستويات تلك الحركة، الذي أود التركيز عليه في هذه الكلمة، فهو مستوى القول باعتباره قولا فارغا مسطحا بعيدا عن الحقيقة أو حاجبا لها تحت ألوان من الزيف والتمويه، إنه «زخرف القول» كما يعبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبيء عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾.

إن «زخرف القول» يعتبر خرقا خطيرا من خروق سفينة المجتمع، في حالة التمكين لمن يتبادلون وحيه من شياطين الإنس والجن، ويعتبر ميدانا من ميادين المنازلة بين الحق والباطل، يحقق فيه أهل الحق انتصارهم فيه بقدر نجاحهم في كشف زيف أقاويلهم المزخرفة، وفضحهم أمام الناس باعتبارهم شياطين مدلسين محتالين، لا يملكون إلا الكلام المبهرج الخالي من الحق، يقول الشيخ أبو زهرة في «زهرة التفاسير» مفسرا الآية السابقة: (أي يلقي في نفوسهم تحسين الباطل بأقوال باطلة ولكنها مزخرفة بزخرف يكون غرورا للنفس الضالة فتتدلى به. وهكذا يجيء تضليل النفوس في الآحاد والجماعات بزخرف القول، فتسمى الحقائق بغير أسمائها، فيسمى الجحود طلبا للدليل، وتسمى الشجاعة في الحق تهورا، ويسمى الإفساد حرية، ويسمى الاستبداد شورى والشورى طغيانا، ولذلك كان بعض الحكماء يرى أن إصلاح الأخلاق يكون أولا بتصحيح الألفاظ، وأن هذه العداوة للأنبياء من شياطين الإنس والجن بإرادة الله تعالى، ولذا قال:﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ أي إن هذه إرادة الله اختيارا، وليبلغ النبيون أعلى مراتب الإنسانية بجهادهم في الدعوة إلى الله.

إن تأملنا في الواقع المعاصر وما يكتنفه من اختلالات، وما ينتج عن هذه من أزمات، يفضي بنا إلى إدراك دلالات الإعجاز الباهرة في الضميمة الاصطلاحية «زخرف القول»، فهذه تعتبر من مفاتيح التحليل الأساسية ذات الفعالية العالية في فهم الواقع بتعقيداته، وما يفرزه من ظواهر مرضية، يمثل زخرف القول أصلا من أصوله التكوينية.

فنحن إذا بحثنا عن ماصدق هذه الضميمة الاصطلاحية وجدنا له امتدادا واضحا في مجالات عديدة كالتعليم والتربية والإعلام والفن، وما إلى ذلك، ونحن إذا وقفنا على سبيل المثال عند مجال الإعلام، وما يفرزه من ركام هائل من زخرف القول، لهالنا مقدار ما يمثله الاستسلام لتياراته الهادرة من تهديدات لسلامة أجهزة التفكير والتعبير والتدبير على صعيد سفينة المجتمع. إن ما يضخه هذا الجهاز الإعلامي الهادر من آلاف الألفاظ المغلوطة والقضايا الفارغة، يمثل عائقا دون الوعي الاجتماعي والثقافي والحضاري، ومن ثم الرقي لمختلف جوانب الشخصية الفردية والجماعية للأمة.

إن أمانة عظمى تطرح على كاهل حراس السفينة من كتاب ومفكرين ودارسين، وأصحاب الشأن السياسي والثقافي والتعليمي، وغيرها مما له مساس بعالم القول أو حقوله المتنوعة، إنها أمانة صيانة القول على صعيد سفينة المجتمع، وإقامة المتاريس والسدود التي تحول دون تسرب سموم زخرف القول إلى أهل السفينة ومجالهم الثقافي، بما يحفظ لهذه السفينة أمنها الروحي والثقافي والحضاري.

مواقف خالدة

ذ: عبد القادر لوكيلي

أكثر ما يخلد ذكر العلماء والمفكرين عبر التاريخ هي مواقفهم المشرفة ووقوفهم في وجه الظلم والطغيان، فالمواقف هي التي تخلد صاحبها أكثر من العلم الذي يخلفه وراءه. فالإمام أحمد ابن حنبل -على سبيل المثال لا الحصر- عرف بموقفه من قضية خلق القرآن ربما أكثر مما عرف بكتاباته وعلمه الغزير. نفس الشيء بالنسبة لسلطان العلماء العز بن عبد السلام فلا يكاد يذكر إلا بوقوفه في وجه الظلمة ومناصرة الحق والمستضعفين.... الأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، أكتفي منها بعلم واحد جسد فعلا ما ينبغي أن يكون عليه علماء الدين.. إنه سعيد بن جبير في مواجهة شجاعة ونادرة للطاغية الحجاج بن يوسف...

سمع الحجاج بن يوسف أن سعيد بن الجبير يتكلم فيه فأمر بإحضاره.

فلما جيء به، قال له الحجاج: أنت شقي بن كسير؟!... (بعكس اسمه)

فرد سعيد: أمي أعلم باسمي حين أسمتني .

فقال الحجاج غاضبا: «شقيت وشقيَت أمك !!»

فقال سعيد: «إنما يشقى من كان من أهل النار» ، فهل أطلعت على الغيب ؟

فرد الحجاج : «لأُبَدِلَنّك بدُنياك ناراً تلَظّى!»

فقال سعيد: والله لو أعلَم أن هذا بيدك لاتخذتك إلهاً يُعبَد من دون الله .

قال الحجاج: ما رأيك فيّ ؟

قال سعيد: ظالم تلقى الله بدماء المسلمين !

فقال الحجاج: اختر لنفسك قتلة يا سعيد !

فقال سعيد: بل اختر لنفسك أنت!، فما قتلتني بقتلة إلا قتلك الله بها !

فرد الحجاج : لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً قبلك، ولن أقتلها لأحد بعدك

فقال سعيد : إذاً تُفسِد عليّ دُنياي، وأُفسِدُ عليك آخرتك.

ولم يعد يحتمل الحجاج ثباته فنادى بالحرس: جروه واقتلوه!!

فضحك سعيد ومضى مع قاتله.

فناداه الحجاج مغتاظاً: ما الذي يضحكك؟

يقول سعيد: أضحك من جرأتك على الله، وحلم الله عليك!!

فاشتد غيظ الحجاج وغضبه كثيراً ونادى بالحراس: اذبحوه!!

فقال سعيد: وجّهوني إلى القبلة، ثم وضعوا السيف على رقبته، فقال: ﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾

فقال الحجاج: غيّروا وجهه عن القبلة!

فقال سعيد: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تُولّوا فثمّ وجه الله﴾

فقال الحجاج: كُبّوه على وجهه !

فقال سعيد: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾

فنادى الحجاج : اذبحوه! ما أسرع لسانك بالقرآن يا سعيد بن جبير!

فقال سعيد : «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» . خذها مني يا حجاج حتى ألقاك بها يوم القيامة !!

ثم دعا قائلاً: «اللهم لا تسلطه على أحد بعدي» .

وقُتل سعيد ....

والعجيب أنه بعد موته صار الحجاج يصرخ كل ليله: مالي ولسعيد بن جبير، كلما أردت النوم أخذ برجلي !

وبعد 15 يوماً فقط مات الحجاج ولم يُسلط على أحد من بعد سعيد

رحمك الله يا ابن جبير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بنبض القلب

قبل أسبوعين كنت في الديار المقدسة لأداء العمرة، وذات صبيحة جلست بمطعم الفندق بالمدينة المنورة أتناول وجبة الفطور أنا وزوجتي، وفجأة سمعت صراخا بالمائدة التي بجواري. التفت فوجدت رجلا في عقده الستين يخاطب زوجته بعصبية :

– هات لي صورة السيسي، طَلِّعي لي صورة المشير عشان أبعثها عبر الفايسبوك... عايز أزود الضغط لإخوانك الإخوانيين..

وكانت زوجته التي يبدو عليها الوقار تحاول أن تُهدئ من روعه، غير أنه لم يكن إلا ليزداد عنادا.. فناولته هاتفها المحمول ليفعل ما عزم عليه..

وحتى ألطف الجو المكهرب الذي أحدثته ردة فعل هذا الزوج، ابتسمت في وجهها وقلت : الله يحفظ مصر وكل الأمة العربية والإسلامية.

التعصب العسكري

ذ. أحمد لشهب

رددت الزوجة بعيون حزينة وهي تتطلع إلى «البادج» الذي أحمله لتعرف من أي بلد أنا.

– آمين.. أنظر تعصب هذا الرجل فهو عسكري متقاعد ثم استطردت وكأنها تريد أن تجد لها حليفا :

– أنتم في المغرب كيف تنظرون إلى ما يجري في مصر؟

قلت لها أن غالبية المغاربة يحبون المسلك الديمقراطي في تداول السلطة، ولم يتعودوا أن يتدخل الجيش في حياتهم، فالجيش مكانه هو حراسة الوطن والحفاظ على أمنه وسلامته، وليس هو سدة الحكم، وقبل أن أسترسل قاطعني الزوج :

– ومن قال إن مصر يحكمها العسكر، فهي دولة مدنية، والمشير قبل أن يرشح نفسه استجابة لرغبة الشعب، سوف يقدم استقالته..

قلت له :

– الأمر ليس بهذه البساطة، فالعقلية العسكرية لن تنمحي بمجرد نزع البذلة العسكرية وارتداء بذلة وربطة عنق.. والعسكر في مصر له تاريخ طويل منذ ثورة 1952 في الاستحواذ على السلطة وفرض منطقه التحكمي، وغير مستعد أن يتخلى عن الكرسي بهذه السهولة.. وتعصبك للسيسي لأنك لم تنزع عقلية العسكر وإن نزعت بذلته.

وقبل أن أغادر طلبت مني الزوجة حسابي على الفايسبوك حتى يتسنى لها أن تعرف أكثر على المسار الديمقراطي المغربي، وعن الأرض التي تتجاوز المساحة المزروعة فيها مليون هكتار.

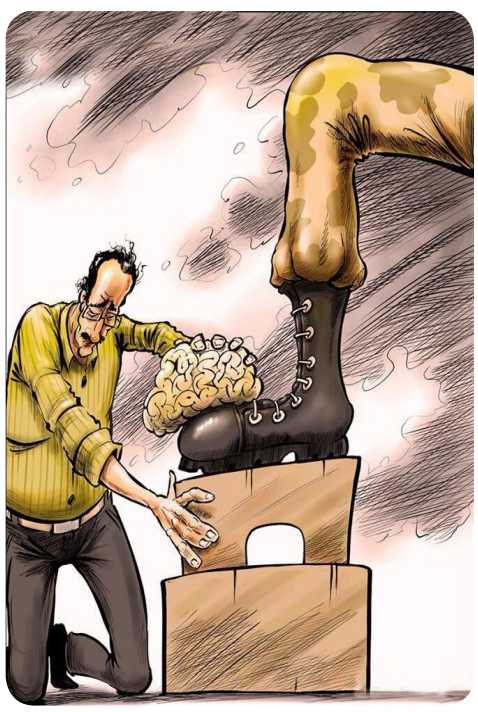

مؤتمر لمسلمي القرم لبحث أوضاعهم بعد التدخل الروسي

قرر رئيس المجلس الوطني لمسلمي القرم «رفعت تشوباروف»؛ عقد المؤتمر الوطني لتتار القرم لمناقشة وضع ومستقبل التتار في شبه الجزيرة، بعد إعلانها الاستقلال عن أوكرانيا من طرف واحد وتوقيعها اتفاقية للالتحاق بروسيا. وقال تشوباروف: « سوف يجتمع المؤتمر الوطني لتتار القرم لحماية حقوق التتار، لن نتخلى أبداً عن حقنا في تقرير مصيرنا؛ وسوف نقرر في المؤتمر الكيفية التي سنمارس بها هذا الحق.

تقدَّمت الجمعية الإسلامية في مدينة «برلينجتون» بولاية «نيوجيرسي» الأمريكية – بطلب لبناء مسجد ومدرسة ابتدائية ومستوصف في بلدية «ديلانكو»، وهذا إضافة إلى مكتبة وساحة لإيقاف السيارات على مساحة لمشروع تبلغ 22،745 قدم مربع. ومن المقرر أن يلتقي المسؤولون في وقت لاحق من مارس الجاري لمناقشة المشروع والموافقة عليه، إضافة إلى انتظار مزيد من التفاصيل المتعلقة بالمسجد والمدرسة، وكيفية البناء، وخطوات المشروع.

مؤشر الأسهم التركية يرتفع بعد النصر الانتخابي لحزب أردوغان

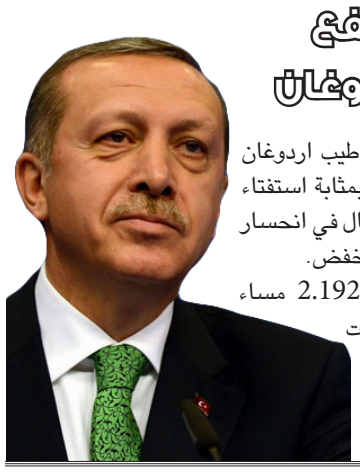

ارتفعت الأصول التركية بعد أن حقق حزب رئيس الوزراء رجب طيب اردوغان (العدالة والتنمية) فوزا كبيرا في الانتخابات البلدية التي اعتبرت بمثابة استفتاء على حكمه. وأنعشت نتيجة الانتخابات التي جرت مساء الأحد الآمال في انحسار الاضطرابات السياسية التي دفعت الليرة إلى مستوى قياسي منخفض.

وسجلت العملة التركية 2.1630 ليرة للدولار ارتفاعا من 2.1921 مساء الجمعة لتصل إلى أعلى مستوياتها في أكثر من شهرين. وصعدت البورصة التركية أيضا إذ فتحت مرتفعة نحو 2% لتصل إلى أعلى مستوياتها في 3 أشهر قبل أن تبدد بعض مكاسبها لتسجل زيادة نسبتها 0.34% إلى 69349 نقطة.

أمريكية مسلمة ترفع دعوى ضد نادي رياضي منعها من الحجاب

قامت امرأة مسلمة في الولايات المتحدة، برفع دعوى قضائية في محكمة نيو مكسيكو ضد ناد رياضي في مدينة ألباكيركي وذلك لأن إدارة النادي كانت قد رفضت السماح لها بالتدرب في الصالة وهي ترتدي الحجاب. وقالت تاراينيا ماكدانيال، 37 عاما، إنها بدأت بارتداء الحجاب منذ أن اعتنقت الإسلام، وليست على استعداد لخلعه.

وقالت تاراينيا إنها كانت قد وقعت عقدا مع النادي لمدة سنتين لتتدرب فيه وفعلا بدأت بأحد الفروع القريبة منها ولم يعارضوا أبدا ارتداءها الحجاب. لكنها انتقلت بعد ذلك لمنطقة أخرى وتوجهت لفرع آخر للنادي قريب منها لكنهم رفضوا السماح لها بالقدوم والتدرب بالحجاب.

هيئة علماء العراق: الميليشيات الطائفية تحرق المساجد وتستهدف العلماء

حذرت هيئة علماء المسلمين في العراق، الاثنين 2014/3/24 حكومة الاحتلال الخامسة وأجهزتها القمعية من مغبة الاستمرار في ارتكاب جرائم الاعتقالات الجائرة التي تلحق علماء العراق ورموزه الوطنية. وكشفت الهيئة في تصريح صحفي أصدره قسم الثقافة والإعلام بالهيئة اليوم عن قيام ما تسمى قوات (سوات) يوم الأحد باعتقال الشيخ (قاسم الحنفي) أحد علماء بغداد المعروفين، وإمام وخطيب جامع السليمانية بعد مداهمة منزله في منطقة (الميدان) بالعاصمة بغداد والعبث بمحتوياته. وأكدت هيئة علماء المسلمين في ختام التصريح الصحفي أن هذا الفعل الجبان الذي يأتي في سياق ما يشهده العراق الجريح من استهداف منظم لعلمائه والنخب من أبنائه، لن ينفع مرتكبي هذه الجرائم الوحشية، ولن يحقق أحلامهم في فرض قانونهم الظالم .. محملة الحكومة الحالية المسؤولية الكاملة عن سلامة الشيخ المعتقل، كما طالبت بإطلاق سراحه فورا.

المغرب يسهم في استصلاح الأراضي الفلاحية في موريتانيا

أعطى الرئيس الموريتاني محمد ولد عبد العزيز، شمال شرقي مدينة روصو (200 كلم جنوب نواكشوط)، انطلاقة برنامج لاستصلاح 3260 هكتارا، ينفذ بالتعاون بين الشركة الموريتانية للاستصلاح الزراعي والأشغال وشركة الأشغال الفلاحية المغربية (سطام)

وحث الرئيس الموريتاني القائمين على المشروع على «تسريع وتيرة العمل وتوخي الجودة في الأداء من أجل الاستجابة السريعة للتخفيف من معاناة المواطنين» ويذكر أن هذا المشروع ينجز بتمويل من الدولة الموريتانية بمبلغ عشرة ملايير أوقية «حوالي 25 مليون أورو» والذي حددت مدته في 18 شهرا.

وأكد وزير التنمية الريفية الموريتاني إبراهيم ولد امبارك ولد محمد المختار أن برنامج استصلاح الأراضي الفلاحية يدخل في إطار برنامج متكامل للنهوض بالزراعة والتنمية الحيوانية، وكذا محاربة الفقر والبطالة وتحقيق الأمن الغذائي للمواطنين وخاصة ذوي الدخل المحدود والفئات الهشة.

هبوط حاد لبورصة مصر بعد إعلان السيسي الترشح للرئاسة

تكبدت البورصة المصرية أكبر خسارة يومية لها في سبعة أشهر اليوم الخميس بعدما أعلن المشير عبد الفتاح السيسي وزير الدفاع السابق أنه سيترشح للرئاسة، وقد رافق انطلاق حملة السيسي الانتخابية تراجعٌ حاد للبورصة المصرية لليوم الثالث على التوالي، إذ سجلت خسائر بلغت 12 مليار جنيه.

وبهذا يصل إجمالي الخسائر منذ إعلان السيسي ترشحه للرئاسة إلى 33 مليار جنيه في ثلاث جلسات فقط.

وقال الخبير المالي عمر عبد الفتاح إن الأسهم بالبورصة المصرية خسرت في الجلسات الثلاث الأخيرة اعتبارا من الخميس الماضي جميع المكاسب التي حققتها على مدار شهرين كاملين.

وأضاف الأخير –في تصريح لوكالة أنباء الشرق الأوسط الرسمية– أن الأسهم فقدت أكثر من 30% من قيمتها في جلسات الخميس والأحد الماضيين بجانب تعاملات أمس الاثنين، لتصل أسعارها إلى مستوياتها قبل نحو شهرين كاملين.

النشاطاتُ العائلية المُشترَكة تُعزِّز الصحة النفسيَّة عند الصغار

بيَّنت دراسةٌ حديثةٌ أنَّ المُشاركةَ في النشاطات العائليَّة بشكلٍ مُنتظم يُفيدُ الصحَّةَ الاجتماعيَّة والنفسيَّة عند الصغار؛ وكُلَّما تكرَّرت هذه النشاطاتُ العائليَّة، كان الأمْر أفضل. وتعرَّف الصحَّةُ الاجتماعيَّة النفسيَّة بأنَّها القُدرةُ على فهم الانفعالات والتعبير عن التعاطف وضبط النَّفس وتكوين علاقات طيِّبة مع الآخرين من الأطفال والبالغين. تفحَّص باحِثون بيانات زوَّد بها آباء حولَ ما يقرُب من 8550 من الصِّغار في الولايات المُتَّحِدة، وذلك من أجل تقييم عدد المرَّات التي يقوم بها الأطفالُ بأشياء مع عائلاتهم عادةً، مثل تناول العشاء والغِناء وقراءة الكُتب واللعب وسرد القصص. وصلت نسبةُ الأطفال، الذين شاركُوا بشكلٍ مُنتظم في 3 أو أكثر من النشاطات العائليَّة، إلى 57 في المائة؛ وأكثر من 16 في المائة من الأطفال كان لديهم مستوياتٌ عالية من الصحَّة الاجتماعية النفسيَّة.

الشيخ أبو الحسن الندوي، حكيم الوسطية (2)

2 - الوسطية في السلوك :

أ. د. حسن الأمراني

عاش الشيخ أبو الحسن في الهند، وهي مجمع الديانات والمذاهب المختلفة، وعاش مع فئات من ذوي هذه المذاهب، من مسلمين وهندوس وسيخ ونصارى وغيرهم، وكان بعض هذه المذاهب يوغل في تعذيب الذات مما يراه تقرُّبًا إلى الله تعالى وتبتُّلا. (وقد رأينا مظاهر غريبة وعجيبة لهذا التبتل، ولتلك الرهبانية، فالبعض منهم تجنب الاغتسال طول عمره، والآخر لا يرتدي إلا المسوح والثياب الخشنة، ومن كان يعيش عريانا حتى في موسم البرد القارس، وآخر يجهد نفسه بالتعبد قائما في الحر الشديد طول عمره، لا يتحرك من مكانه، ومنهم من كان يعتزل الناس، ويغادر إلى كهف أو غار، ويلزمه لا يبرحه أبدا طول حياته، وآخر يحلف ألا ياكل إلا أوراق الشجر طول حياته، ومنهم من كان يعيش حياته كلها متبتلا بعيدا عن الزواج والنساء، ويرى قطع التناسل من العبادة المقربة، وآخر يرفع إحدى يديه في الهواء ويعذّبها طول عمره حتى تجفّ، ومنهم من كان يعتقد أن حبس النفس من العبادة، والآخر يعلق نفسه في شجرة رأسا على عقب).

هذه هي أفضل صور وأشكال العبادات الراقية المتطورة المقرِّبة إلى الله، وأعظم وسيلة لتزكية النفس وتطهير الأرواح قبل الإسلام. فلما جاء الإسلام حرّر الإنسانية من هذه الأغلال والسلاسل والمصائب، وأنجاها من جميع أنواع التعيب والإيذاء، وبيَّن لها أن هذه المظاهر ليست إلا ألعابا بدنيّة، وأصنافا من المسرحيات الجسمية، وأن الله عزَّ وجلّ لا ينظر إلى قالب الإنسان كم تعذّب، وكم تحمَّل من المشاق، وإنما ينظر إلى القلوب، فلا يكلِّف نفسا فوق طاقتها، وهذا ما صرَّح به القرآن الكريم إذ قال: ﴿لا يُكَلِّفُ الله نفسا إلا وسعها﴾(البقرة:286)، وأعلن بأعلى صوت: إنَّ هذه الرهبانية ليست إلا ابتداعا واختلاقا من عند أنفسهم، ما أنزل الله بها من سلطان، قال تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾(الحديد: 27) [الرسالة المحمدية، للسيد سليمان الندوي، ص.240].

عاش الشيخ أبو الحسن وسط كل تلك التيارات والمذاهب، ولكنه تسربل بالوسطية الإسلامية، فتحقق بذلك سلوكا، ولم يتأثر بشيء من أخلاط المذاهب والنحل، كما حدث لبعض المسلمين في الهند، حتى ابتدعوا في الدين ما ليس فيه، بل انسلخ بعضهم عن الإسلام تماما، كما هو شأن البابية والبهائية والقاديانيه. لقد تحقق الشيخ أبو الحسن بروح الإسلام، فعصمه الله تعالى من الشطط، ومن الميل إلى الإفراط أو التفريط، فهو يعيش حياة الزاهدين، ولكنه يعيشها مع الناس ولا يعتزلهم، فيكون سلوكه بذلك قدوة وأسوة ودعوة. لا يحرم على نفسه ما أحله الله تعالى، ولكنه يؤثر حياة السابقين من أهل الخير، في الميل إلى الزهد والرضا بالكفاف والعفاف والغنى عن الناس. يحضر المؤتمرات العالمية، وينزل الناس في الفنادق الفخمة، ولكنه يؤثر أن ينزل في بيوت البسطاء من أهل الهند، ولاسيما من أتباع جماعة التبليغ.

ومن مظاهر الوسطية في السلوك ما عُرف به رحمه الله من لين الجانب، ورقّة القلب، والتواضع مع الناس جميعا، وليس مع المسلمين وحدهم. ولكن ذلك كله لا يصرفه عن الجهر بالحق في المواطن التي تستوجب ذلك، فهو إذا انتهكت حرمة من حرمات الله تحول أسدا هصورا يزأر، ويستوي في ذلك أن يكون امام الحكام وأمام الرعية.

يقول د. محمد اجتباء الندوي عن أبي الحسن: (لم يكن يهمه العيش الرغيد، والطعام اللذيذ، والفراش الناعم الوثير، كان يجلس على الحصير، ويأكل الجشب، ويلبس الخشن، ينام قليلا ويسهر كثيرا، كانت حياته كلها جهادا، وكفاحا، ومثابرة، وثباتا.

كان جريئا في الحقّ، ومقداما في إحقاق الحقّ وإبطال الباطل، وصريحا في تقديم قضية الإسلام ورسالته ومبادئه وقيمه ، قويا في التكلم في أمور المسلمين أمام الملوك والأمراء والحكام، ولكن بلين ورفيق، وتهذيب وادب، وخلق ونبل.) [أبو الحسن الندوي، الداعية الحكيم، والمربي الجليل: ص.19].

والذي يطالع كتابه (في مسيرة الحياة) يجد مجموعة من المواقف التي تؤكد هذا الكلام. ولكني أحب أن أسوق شهادة بما رأيت، فقد زرت الشيخ أبا الحسن في قريته

لم يكن يهمه العيش الرغيد، والطعام اللذيذ، والفراش الناعم الوثير، كان يجلس على الحصير، ويأكل الجشب، ويلبس الخشن، ينام قليلا ويسهر كثيرا، كانت حياته كلها جهادا، وكفاحا، ومثابرة، وثباتا

(رائي بريلي) ورأيت كيف يعيش عيشة ما لبثت أن تذكرت معها كلمة الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة: «اجلس بنا نؤمن ساعة»، وأعتقد أن كل من زاره في بيته المتواضع يتذكر حياة الصحابة الكرام، وهذا ما ذكره لي أيضا الدكتور حيدر الغدير يوم زيارته له، فقد أحسَّ بالشعور نفسه. وقد قلت في نفسي يومذاك : أهذا الشيخ الزاهد هو نفسه الذي يهابه الحكَّام ويضربون له ألف حساب؟

لم يكن الشيخ أبو الحسن متحققا بالوسطية في سلوكه الفردي فقط، بل جعل ذلك من جوهر دعوته، داعيا المسلمين إلى التحقق بهذه الوسطية، ممثلا لذلك بما يناسب من الأمثلة. ففي شهر يناير من عام 1986 تأسست في مقر ندوة العلماء . دار العلوم، بلكنهو، رابطة الأدب الإسلامي، وقد كان ذلك اليوم مشهودا، وشارك فيه الأساتذة الضيوف من الهند ومن خارجها، كما شارك أساتذة دار العلوم ، بكلمات قيمة، وقصائد معبرة، وكان لتلاميذ الدار وطلبتها مشاركات أيضا، وكانت لغة المؤتمر هي العربية، بالإضافة إلى أنه أنشدت قصائد باللغة الأوردية، لغة المسلمين في عموم الهند، وما زلت أذكر تلميذا لم يجاوز سن الطفولة آنذاك، واسمه محمد إسماعيل، (وقد علمت من بعض زملائه أنه صار اليوم أستاذا نبيها)، ينشد بصوت شجي قصيدة إقبال الرائعة: (دعاء طارق). وقد أشاد الأساتذة الضيوف بندوة العلماء التي أثبتت أنها قلعة للعربية في القارة الهندية (وقد أشاد بذلك الشيخ أبو الحسن في كتابه: في مسيرة الحياة،2\160). إلا أن الدكتور محمد علي الهاشمي ألقى كلمة، وبعدما حيى القيمين على ندوة العلماء وأشاد بفضلهم قال كلاما مفاده ما يلي: (نحن الآن رأينا الصورة، ونرجو أن تكون الحقيقة مطابقة للصورة. فليس المهم أن تكون الصورة جميلة بقدر ما هو مهم أن تعبر عن الجوهر، وأن يكون الجوهر سليما)، ولم يكد ينهي كلمته حتى كانت توزع علينا رسالة لطيفة للشيخ أبي الحسن، وهي رسالة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة، وعنوانها: (الصورة والحقيقة)، وعجبنا لنباهة المنظمين من جهة، ولسبق أبي الحسن إلى معالجة الموضوع في رسالة من جهة أخرى. وقد كان هذا دأبه في كل مجلس وفي كل آن: التركيز على الجوهر لا على الصورة، وهو بذلك يستوحي حديث رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»(رواه مسلم).

ولقد كانت للشيخ أبي الحسن كلمة أخرى تدل على المعنى نفسه سمعناها منه كثيرا، ودونها في بعض كتبه، وهي ضرورة العناية بالقيمة لا بالقامة. يقول في كتابه (في مسيرة الحياة: 2\76): «ليست العبرة بالقامة والحجم والكثرة، وإنما العبرة بالقيمة. هناك شيئان يوزنان: القامة والقيمة، ولكن الله سبحانه وتعالى فضل القيمة على القامة.إنني كلما أقرأ الآيات الأخيرة من سورة الأنفال، عجبت وعجبت وكدت أحار وأغلب على أمري، إذا قرأت قول الله تعالى: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾(الأنفال:73).

لمن يقال هذا؟ لهذه الحفنة البشرية التي تألفت من المهاجرين والأنصار، تألفت من الأنصار أصحاب الدار ومن المهاجرين المغتربين، الذين لم يتجاوز عددهم خمسمائة وألف.. ما نسبة هذه القلة القليلة التي كانت تعيش في يثرب التي سميت بعد ذلك بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، ما وزن هذه القلة وما عدد أفرادها؟ ما وزن هذه القلة في الميزان السياسي، وفي الميزان الدولي،وفي الميزان الاجتماعي، حتى في الميزان العلمي؟ إنهم -كما أعتقد- لم يبلغ عددهم ألفين... إنه يقال لهذه المجموعة الصغيرة التي قام عليها الإسلام، وقامت على أعناقها رسالة الإسلام...فثبت بذلك أن المسلم بقيمته لا بقامته».

إلى أن نلتقي

نظرات في إصلاح التعليم (8)

لماذا نجَح التّعليم في بلادنا بعد الاستقلال -2

توقفنا في عمود العدد ما قبل الماضي عندَ من أوصى بها ديننا الحنيف أمّا وأختا وبنتا، بمناسبة زمنٍ جُعِل لها فيه يومٌ واحد في السنة بدعوى تكريمها، في حينٍ كان ينبغي أن تكون حاضرة بيننا في كل وقت وحين، معززة مكرّمة، فهي التي جعل نبينا عليه الصلاة والسلام الجنة تحت أقدامها، وأوصى بها ثلاثا، وأوصى بالرجل الوالد مرةً واحدةً.

ونعود في هذا العدد إلى مواصلة الحديث عن التعليم، الذي هو الآخر كان للمرأة في دور كبير، قد نعود إليه في وقت لاحق إن شاء الله.

نعُود إلى الحديث عن الأسباب التي كانت وراء نجاح التعليم في بلادنا بعد الاستقلال مباشرة، ونقول أولاً -كما ذكرنا سابقا- إن من بين أسباب ذلك، تلك الرؤية الرسالية والنظرة الوطنية الثاقبة التي كانت لدى جيل المؤسسين من الأساتذة والمعلمين، تلك الرؤية التي كان يسْتَند فيها أصحابها إلى قيم ديننا وحضارتنا وأعرافنا، منافسين في ذلك أصحاب الرسالة الأخرى، رسالة فَرْنسة التعليم، التي كان يتولّى جلّها المدرّسون الفرنسيون أنْفسهَم، حيث كانت كل المواد تدرّس بالفرنسية منذ المرحلة الابتدائية، ولم تكن اللغة العربية إلا مادةً من الموادِّ، ومع ذلك أتقن المغاربة هذه اللغة تعليما وتعلّما، بفَضْل أولئك الرواد.

لقد كان المدرِّسون الفرنْسيون يؤدّون هم أيضا رسالتهم بإخلاص بدافع حب لغتهم وبدافع نشرها خارج قاعدتها في القارة العجوز، رغم أن معظمهم كان يؤدي واجب ما كان يُعرف آنذاك بـ«الخدمة المدنية»، ولم يكن أي واحد منهم يتعلل بضعف الراتب أو بعده عن وطنه وأهله، لا لشيء إلا أنه كان مؤمنا برسالته.

ومن باب أداء الرسالة -كما كان يفهمها ذلك الجيل- احتضان التلاميذ واعتبارهم امتداداً لفلذات أكبادهم، ولم يكن يدور في خلد أحدهم أن يسْتغلّ التلميذ ليكون ضحية مادية باجباره على السّاعات الإضافية وابتزازه فيها أو في غيْرها من الماديات، بل ما زلت أذكر أن عدداً من المدرسين كانوا يخصصون عدداً من الساعات بشكل تطوعي لدعم التلاميذ المحتاجين إلى ذلك، بل واعانتهم ماديا أيضا.

لقد كان المعلم في المرحلة الابتدائية والاستاذ فيما بعد ذلك من المراحل التعليمية الأخرى يقوم بدور التربية قبل التعليم، ومن ثمّ كان يحرصُ على أن يكون سلوك تلميذه على مستوى حسن من الخُلق المتزن، ليس داخل القسم فحسب، ولكن أيضاً خارجه، حتى إن عامة التلاميذ كانوا يتحاشون الالتقاء بأساتذتهم خارج المدرسة تقديراً لهم واحتراماً، وخشية أن يزونهم -وهم يلعبون في الدروب والساحات- في أحوال أو أوضاع قد يُفهم منها أنها سلوكات لا تليق بالتلميذ المهذب المتخلف.

نعم لقد كان بعض المدرسين يقسون على تلامذتهم باستعمال «العنف» الذي كان يتجلى بالخصوص في الضرب على أكُفِّ اليدين أو باطن القدمين، لكن مع ذلك لم يكن «المعنفون» من التلاميذ ولا آباؤهم يرون أن ذلك ينتقص من القيمة الاعتبارية للمدرس، ولا من مكانته التربوية التي يؤديها، لسبب بسيط، وهو أن استعمال الضرب بالعصا أو بالسّوط لمعاقبة التلميذ الكسول أو غير المنضبط أو غير المتخلق، كان أمراً عاديا ومعمولاً به في أكثر من بلد، فضْلاً عن أنه كا ن من التقاليد التربوية المعمول بها، ليس فقط في مجال التربية والتعليم ولكن في كل القطاعات الأخرى التكوينية والحرفية وغير ذلك، بل حتى الآباء لم يكونوا يخرجون عن هذا الإطار أيضا، ولذلك لا يمكن أن ينتقص من مكانتهم الأخلاقية ورسالتهم المهنية شيء كان معمولا به في كل المجالات الأخرى.

د. عبد الرحيم الرحموني